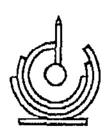


د. عمر سليمان عبد الله الأشقر



دار النفائس
للنشر والتوزيع - الأردن

الطبعة الاولى
١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٤م



دار النفائس
للنشر والتوزيع

الاردن ـ عمان ـ العبدلي ـ مقابل جوهرة القدس
هاتف : ٤٠ ٣٩ ٦٩ ـ فاكس : ٤١ ٣٩ ٦٩ ـ ص .ب : ٢١١٥١١

مُعتقد
الإمام أبي الحسن الأشعري
ومَنهجه

تأليف

د. عمر سليمان عبد الله الأشقر

دار النفائس
للنشر والتوزيع



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

« الحمدلله الذي حبب إلينا التمسك بالسنن الهادية، وجنبنا سبل البدع المردية ، وكنف قلوبنا بثلج اليقين، وأعزنا بسلطان الدين، وجعلنا لرسول الله ﷺ متبعين، وبإمامته معتصمين ، ووهب لنا من أنس الجماعة ما زالت به وحشة الشذوذ والبدع ، حمداً نحوز فيه شرف طاعته ، ونستمرئ به بحميد مواهبه.

وصلى الله على محمد سيد الداعين إليه، والسفير بيننا وبينه ، الذي أيده الله عزَّ وجلَّ بآياته ، وقطع دواعي الشبه فيه بمعجزاته ، حتى أنهج السبيل إليه،ونبه على ما في أفعاله من وجوه الأدلة عليه بأوضح بيان وأظهر برهان ، حتى غامر الباطل حامياً خبيراً ، وأضاء الحق غالباً منصوراً ، فبلغ الرسالة وأدى الأمانة، ونصح الأمة وعلا بالحجة ، صلى الله

عليه وسلم تسليماً »[1] أما بعد:

فإن الداعي لكتابة هذه الرسالة أني وجدت أقواماً يزعمون أن لأبي الحسن الأشعري عقيدة مخالفة لما دونه أئمتنا الأعلام في عقيدة أهل السنة والجماعة ، عقيدة السلف الصالح ، زاعمين أن ذلك المعتقد الذي ساروا عليه هو عقيدة أهل السنة والجماعة ، وهو عقيدة أبي الحسن الأشعري ، وقد بلبلت هذه المقالة أذهان كثير من طلبة العلم ، فأصابتهم بِحيرة، فإن المدون في عقائد السلف قديماً وحديثاً يخالف هذا الذي يحكى على أنه عقيدة للأشعري ، ويزعم أنه معتقد أهل السنة .

وقد دونت مدونات من قِبَلِ الذين يزعمون هذه الدعوى ، اتخذت ستاراً للإزراء بأهل الحق والطعن بهم وبمعتقدهم ، وتستروا في ذلك كله بالإمام أبي الحسن الأشعري .

ولم أكن يوماً من الذين يدعون إلى الانتساب إلى غير الإسلام ، وطريقة أصحاب رسول الله ﷺ الذين

(١) من مقدمة أبي الحسن الأشعري في كتابه : رسالة أهل الثغر .

تمثلوا الكتاب والسنة علماً وعملاً ، ولكن ساءَني أن يُصَدَّ الناس عن عقيدة أهل السنة والجماعة أهل الاستقامة وأتباع الحق كما وصفهم أبو الحسن الأشعري رحمه الله بدعوى باطلة غير صحيحة .

والعجب أن أبا الحسن الأشعري دوَّن عقيدته التي يعتقدها وديانته التي يدين بها بنفسه مما لا يدع مجالاً لتحميله ما لم يحتمله، وتقويله ما لم يقله .

ولذا لم يجد الذين يصرون على تحميله غير ما يذهب إليه إلا أن يطعنوا في صحة المؤلف الذي دون فيه معتقده ، والذي يخالف ما هم عليه ،وهو كتاب (الإبانة إلى أصول الديانة).

والطعن في صحة نسبة الإبانة لأبي الحسن الأشعري رحمه الله دعوى مردودة ، فقد تناقل أهل العلم من بعد الأشعري عقيدته ، وصرحوا أن معتقده الذي يحكونه عنه دونه في كتابه (الإبانة) .

وهب أن كتاب الإبانة لا تصح نسبته إلى أبي الحسن الأشعري ، لكلام فلان وفلان ، فهل يستطيع أحد أن يطعن في نسبة كتاب (مقالات الإسلاميين

واختلاف المصلين) إليه ، إن قال هذا قائل فإن قوله مردود عند القاصي والداني ، فإن نسبة كتاب (المقالات) إلى أبي الحسن مقطوع بها .

فإذا كان نسبة هذا الكتاب مقطوعا بها إلى أبي الحسن الأشعري فإن الذين يرفضون بعض معتقده في كتاب (الإبانة) يقعون في ورطة كبيرة ، ذلك أنه حكى مذهب أصحاب الحديث وأهل السنة الذين وصفهم في مواضع من كتابه بأنهم أهل الاستقامة وأهل الحق ، وأهل الجماعة ، حكاه بشيء من التفصيل ، ثم ختم الكلام على معتقدهم وطريقتهم بالإعلان بأنه يذهب مذهبهم ، ويقول بقولهم، ويسير مسارهم .

وإذا أنت قارنت ما حكاه عن مذهب أهل السنة والجماعة في (المقالات) بما أورده في كتابه (الإبانة) تجدهما يكادان يكونان شيئاً واحداً ، لا في المعنى الذي تدل عليه العبارة فيهما ، بل في العبارة والأسلوب الذي صيغا به مما يدل على صدورهما من مؤلف واحد .

ومن أجل إقرار هذه الحقيقة ، وحتى لا يقال: إن الذي ذكرته ليس معتقد أبي الحسن، لأن نسبة (الإبانة) إليه باطلة ، أوردت عقيدته التي يعتقدها وديانته التي يدين بها في (الإبانة) وأوردت ما حكاه عن معتقد أهل السنة والجماعة في (مقالات الإسلاميين) على الرغم من أن كثيراً منه مكرر لفظاً ومعنى، ليعلم أن مقالته لم تختلف في الكتاب المقطوع بنسبته إليه عنها في الكتاب الذي يشكك بعض محبيه في نسبته إليه..

ولعل هذا الذي سلكته يفتح أبصار وبصائر الذين يحبون أبا الحسن ليرجعوا عما نسبوه إليه من أقوال لا يرتضيها ، ولم يذهب إليها ، ولعل هذا يثبت قلوب محبيه الذين يذهبون مذهب أهل السنة والجماعة السائرين على طريق السلف الصالح ومعتقدهم على ما هم عليه ، ونأمل من المخالفين أن يلقوا هذا السلاح الذي يستلونه على أهل الحق ، وهو أن أبا الحسن الأشعري له طريق غير طريق أعلام السنة ، فإن هذا السلاح ثبت عواره في ميدان الحجاج والاستدلال .

ولست في هذا المؤلف داعية فتنة وفرقة ، وإنما هو

دعوة للألفة والاجتماع على منهج سواء ، وقد علمنا من سيرة أبي الحسن الأشعري أنه ترك مذهب المعتزلة لما تبين له عواره ، وأعلن الحق الذي صار إليه ، وصرح باتباعه للمنهج الحق الذي عرفه بعد أن كان له جاهلاً .

وهذا حال طلاب الحق الذين يبحثون عن الحق ويطلبونه ، ولذا فإنه حري بالذين ينسبون إلى العلم وينسبون أنفسهم إلى الإسلام على طريقة الأشعري في المنهج والمعتقد أن يتابعوه في متابعة الحق ، وترك حظوظ النفس، فالحق أحق أن يتبع ، والتوحد على الحق هو التوحيد المطلوب ، الذي يرضي رب العباد .

لم أهدف في هذه الدراسة إلى إيراد المناقشات والمحاورات والأدلة التي أوردها أبو الحسن تثبيتاً لمعتقده، ورداً على من خالفه ، وإنما أردت أن أورد معتقده الذي ارتضاه لنفسه نصحاً لله ولرسوله،وإنصافاً لأبي الحسن الأشعري .

فإن الإدعاء على أهل العلم بخلاف ما يقولونه لا يجوز ، أما تحميلهم ذلك بعد العلم بأن قولهم

مخالف لما يدعى عليهم فإنه كبيرة من الكبائر .

أسأل الله تعالى أن يرزقنا السداد في القول والعمل، وأن ينير أبصارنا وبصائرنا بنور كتابه وسنة رسوله ﷺ ، وأن يهدينا إلى ما اختلف فيه من الحق بإذنه، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

عمر سليمان الأشقر

كلية الشريعة ـ الجامعة الأردنية

عمان ـ الأردن

التعريف بأبي الحسن الأشعري [1]

قال الذهبي فيه: « العلامة إمام المتكلمين أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبدالله بن موسى بن أمير البصرة بلال بن أبي بردة بن صاحب رسول الله أبي موسى عبدالله بن قيس بن حضّار الأشعري اليماني البصري » [2] .

مولده سنة ستين ومائتين ، وقيل: بل ولد سنة سبعين ومائتين [3] .

قال فيه الذهبي: « كان عجباً في الذكاء، وقوة في الفهم » [4] ، وقال أيضاً: « ولأبي الحسن ذكاء مفرط، وتبحر في العلم ، وله أشياء حسنة ، وتصانيف جمّة تقضي له بسعة العلم » [5] .

وقال ابن الباقلاني: « أفضل أحوالي أن أفهم كلام

---

(١) لم نتوسع في ترجمته ، لأن هذا المؤلف في الحقيقة كله ترجمة له .

(٢) سير أعلام النبلاء :١٥/ ٨٥ ، وانظر (تبيين كذب المفتري : ص: ٣٤)

(٣) سير أعلام النبلاء: ١٥/ ٨٥ ، وانظر البداية والنهاية :١١/ ١٨٧ .

(٤) سير أعلام النبلاء :١٥/ ٨٦ .

(٥) سير أعلام النبلاء :١٥/ ٨٧ .

الأشعري » [1] .

نشأ الأشعري في أكناف المعتزلة، فقد تربى في حجر زوج أمه أبو علي الجبائي شيخ المعتزلة في عصره، وتعلم عليه ، وأخذ عنه على مدار أربعين سنة .

ثمَّ شاء الله له الهداية ، وتاب عليه ، فقلب للمعتزلة ظهر المجن ، فبعد أن كان لهم ناصراً ، أصبح عليهم حرباً ، يقول الذهبي رحمه الله تعالى:

« ولما برع في معرفة الاعتزال ، كرهه وتبرأ منه ، وصعد للناس ، فتاب إلى الله تعالى منه ، ثم أخذ يرد على المعتزلة ، ويهتك عوارهم » [2] .

وقد أعلن توبته من مذهب المعتزلة على منبر البصرة، فقد صعد المنبر ، وقال: إني كنت أقول بخلق القرآن ، وإن الله لا يرى بالأبصار ، وإن الشر فِعْلي، ليس بقدر ، وإني تائب ، معتقد الرد على المعتزلة [3] .

---

(١) سير أعلام النبلاء : ٨٦/١٥ .
(٢) سير أعلام النبلاء : ٨٦/١٥ .
(٣) سير أعلام النبلاء : ٨٩/١٥ .

قال أبو بكر الصيرفي « كانت المعتزلة قد رفعوا رؤوسهم ، حتى نشأ الأشعري ، فحجرهم في أقماع السمسم »[1] .

ألف أبو الحسن الأشعري مؤلفات كثيرة ، وقد ذكر ابن حزم أن عدد مؤلفاته يبلغ خمسة وخمسين مصنفاً[2]، ويبدو أن هذه المصنفات هي ما اطلع عليه ابن حزم ، وإلا فإن مؤلفاته أكثر من هذا بكثير ، قال ابن عساكر: « ترك ابن حزم من عدد مصنفاته أكثر من مقدار النصف ، وذكرها أبو بكر بن فورك مسماة تزيد على الضعف »[3].

وقد ذكر أبو الحسن الأشعري أسماء مؤلفاته في كتابه (العمدة في الرؤية) وهذا الكتاب ألفه في سنة عشرين وثلاثمائة ، وقد ساق ابن عساكر أسامي هذه الكتب نقلاً عن أبي الحسن الأشعري ، كما أورد أسماء الكتب التي ألفها بعد ذلك .

وله غير ذلك فتاوي وأمالي وإجابات عن مسائل

---

(١) سير اعلام النبلاء : ١٥/٨٦ ، تبيين كذب المفتري : ٩٤ .
(٢) البداية والنهاية: ١١/١٨٧ ، وتبيين كذب المفتري : ص: ٩٢ .
(٣) تبيين كذب المفتري: ١/ ٩٢ .

سئل عنها ، وعدد مؤلفاته كثير ، وبعضها حجمه كبير يبلغ عدة مجلدات ، فارجع إلى ابن عساكر إن أحببت الاطلاع على أسامي كتبه [١] ، وقد نقل بعض أسماء كتبه الذهبي في (سير أعلام النبلاء) [٢] .

ويذكر محقق كتاب(مقالات الإسلاميين)المدعو (هلموت ريتر) أن تصانيف أبي الحسن الأشعري ضاع أكثرها ، والذي بقي منها نسخة عزيزة الوجود جداً في دور الكتب،ولم يطبع منها إلا النزر اليسير[٣] .

توفي أبو الحسن الأشعري في مدينة بغداد ، وذكرت عدة أقوال في سنة وفاته ، قيل: إنه توفي سنة ثلاثين وثلاثمائة، وقيل: إنه توفي بعد سنة ثلاثين وثلاثمائة ، والذي رجحه المحققون كالذهبي وابن كثير وأبو الحسن العسكري أن وفاته سنة أربع وعشرين وثلاثمائة [٤] .

---

(١) تبيين كذب المفتري:١٢٨ ـ ١٤٠ .
(٢) سير أعلام النبلاء :١٥/ ٨٧ .
(٣) مقدمة (مقالات الإسلاميين) : يه .
(٤) راجع البداية والنهاية :١١/ ١٨٧ ، سير أعلام النبلاء: ١٥/ ٨٦ ـ ٩٠ ، وتبيين كذب المفتري:ص:٥٦ .

منهج أبي الحسن الأشعري

كان أبو الحسن الأشعري معتزليا ، وقد تعمق في مذهب المعتزلة حتى كان رأسا فيه ، وقد بلغ الأمر به إلى أن دون لهم كتباً لم يؤلف مثلها ، فإنّه قال: في سياق الحديث عن مؤلفاته التي ذكرها في كتابه «العمدة» ونقلها عنه ابن عساكر :« وألفنا كتاباً كبيراً في الصفات سميناه كتاب (الجوابات في الصفات عن مسائل أهل الزيغ والشبهات) نقضنا فيه كتابا كنا ألفناه قديماً فيها على تصحيح مذهب المعتزلة لم يؤلف لهم كتاب مثله ، ثم أبان الله ـ سبحانه ـ لنا الحق ، فرجعنا عنه، فنقضناه، وأوضحنا بطلانه »[1].

ولما تكشف له عوار مذهب المعتزلة ، رجع عن مقالتهم إلى مقالة أهل السنة والجماعة ، وأخذ ينقض بعد هدايته ما كان يقرره من قبل، ويقرر مذهب أهل السنة والجماعة .

وقد ذكر في كتابه (مقالات الإسلاميين) الفرق التي اختلف إليها المسلمون ، وهي الشيعة ،

---

(١) تبيين كذب المفتري ، لابن عساكر :ص:١٣١ .

والخوارج، والمرجئة ، والمعتزلة ، والجهمية، والحسينية، والبكرية ، والعامة ، وأصحاب الحديث ، والكلابية أصحاب عبدالله بن كلاب القطان[1].

وقد بين مذاهب كل فرقة من هذه الفرق، فلما وصل إلى مذهب أصحاب الحديث وأهل السنة بسط القول في مقالتهم ، ثم صرح بأنّه على طريقتهم ومذهبهم ، يقول بما يقولون ، ويأخذ بما يأخذون ، قال رحمه الله بعد حكايته جملة مقالتهم: « فهذه جملة ما يأمرون به ، ويستعملونه ويرونه ، وبكل ما ذكرناه من قولهم نقول ، وإليه نذهب »[2] .

وقد آبان رحمه الله عقيدته التي يدين الله بها في كتابه الذي سماه بـ « الإبانة عن أصول الديانة » وقرر فيها أن مذهبه ومعتقده هو مذهب أهل السنة والجماعة، فإنه جاء في إبانته قوله: « قولنا الذي نقول به ، وديانتنا التي ندين بها: التمسك بكتاب ربنا ـ عزّ وجلّ ـ وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة

---

(١) مقالات الإسلاميين :٥ .

(٢) مقالات الإسلاميين :٢٩٧.

الحديث، ونحن بذلك معتصمون »[1].

ويدل على انتسابه لأهل السنة والجماعة أنه كلما جاء ذكرهم في مؤلفاته فإنه يصفهم بأحسن النعوت ، ويلقبهم بأطيب الألقاب ، فقد سماهم بأهل السنة والاستقامة [2] ، وأهل الحق [3]، وأهل الحديث ، وأهل السنة وأصحاب الحديث [4] ، وأهل الجماعة[5].

وقد قرر مذهب أبي الحسن كثير من أهل العلم ، منهم أبو القاسم علي بن إسماعيل القشيري ، فإنه قرر ـ فيما نقله عنه ابن عساكر ـ أن الأشعري كان إماماً من أئمة أصحاب الحديث ومذهبه مذهب أصحاب الحديث ، تكلم في أصول الديانات على طريقة أهل السنة ، ورد على المخالفين من أهل الزيغ والبدعة ، وكان على المعتزلة والروافض والمبتدعين سيفاً مسلولاً [6].

---

(١) الإبانة:٨ .
(٢) مقالات الإسلاميين : ٣/ ٢٩٨ ، ٢٤٥ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤ ، ٤٧٥ .
(٣) مقالات الإسلاميين:٦٠٢ .
(٤) مقالات الإسلامين :١٧٢ ، ٢١١، ٢١٧ ، ٢٩٠ ، ٤٣٤ .
(٥) مقالات الإسلاميين: ٤٥٤.
(٦) تبيين كذب المفتري :١١٣ .

تحديد المذهب الذي ارتضاه لنفسه .

لم يترك أبو الحسن الأشعري المذهب الذي ارتضاه عائماً غير محدد المعالم ، بل حدده تحديداً في غاية الوضوح ، حتى لا يترك مقالاً لقائل ، ولا رأياً لواهم .

وقد أخذ تحديده لمذهبه مساران:

الأول: تحديد أصول هذا المذهب ومعالمه ، وهذا ما سنبينه في كتابنا هذا أخذا من أقواله في كتبه ، وأقوال المحققين من أهل العلم الذين سبروا قوله ، وحققوا مذهبه .

والثاني: تحديده للفئة التي ارتضى أن يقفوا أثرها ، ويترسم خطاها .

وقد عقد بابا في(الإبانة) عنون له بقوله: « باب في إبانة قول أهل السنة » قال فيه:«قولنا الذي نقول به،وديانتنا التي ندين بها: التمسك بكتاب ربنا عزَّ وجلَّ ، وسنة نبينا، وما روي عن الصحابة والتابعين،

وأئمة الحديث ، ونحن بذلك معتصمون »[1] .

وقد زاد الأمر تحديداً عندما نص على متابعته للإمام أحمد بن حنبل فيما ذهب إليه وقال به ، حيث قال: « وبما كان يقول به أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل نضر الله وجهه ، ورفع درجته ، وأجزل مثوبته - قائلون ، ولما خالف قوله مخالفون ، لأنّه الإمام الفاضل والرئيس الكامل ، الذي أبان الله به الحق ، ورفع به الضلال ، وأوضح به المنهاج ، وقمع به بدع المبتدعين ، وزيغ الزائغين » .

وطريقة الإمام أحمد رحمه الله ليس بها خفاء ، فهي أشهر من نار على علم ، لا يستطيع أحد أن يدلس فيها ، ولا أن يتلاعب بها ، فإنها ظهرت من خلال علمه الذي نشره، ومن خلال ثباته عليها في محنته ، فكان موقفه واضحاً ظاهراً بائناً .

ولم يكتف رحمه الله بالنص على متابعته لأحد أعلام السنة ، بل ذكر جملة من أعلامهم « ومنهم الحمادان ، والثوري ، وعبدالعزيز بن أبي سلمة ،

---

(١) الإبانة:٨.

ومالك بن أنس ، والشافعي وأصحابه ، والليث بن سعد ، وسفيان بن عيينة ، وهشام ، وعيسى بن يونس وحفص بن غياث ، وسعد بن عامر ، وعبدالرحمن بن مهدي ، وأبو بكر بن عياش، ووكيع، وأبو عاصم النبيل ، ويعلى ابن عبيد ، ومحمد بن يوسف ، وبشر بن المفضل ، وعبدالله بن داود ، وسلام بن أبي مطيع ، وابن المبارك ، وعلي ابن عاصم، وأحمد بن يونس ، وأبو نعيم ، وقبيصة ابن عقبة ، وسليمان بن داود ، وأبو عبيد: القاسم ابن سلاّم ، ويزيد بن هارون »[1] .

وذكر البيهقي فيما نقله عنه ابن عساكر في (تبيين كذب المفتري) جملة من هؤلاء وغيرهم الذين اقتفى الأشعري أثرهم من أهل السنة كالبخاري ومسلم[2] .

ويمكن أن نقول بإجمال كما قال الأشعري طريقته طريقة أهل الحديث: « حملة الآثار ، ونقلة الأخبار»[3] وهم لا يحصون كثرة .

---

(١) الإبانة: ٣٣ .
(٢) تبيين كذب المفتري : ١٠٣ .
(٣) الإبانة: ٣٣ .

موقف العلماء من أبي الحسن الأشعري

من العدل الذي علمنا إيّاه ربنا أن ننزل الناس منازلهم ، ولا نفتري عليهم بتقويلهم ما لم يقولوه ، وتحريف أقوالهم ونصوصهم .

وقد ذم الله الذين افتروا على الله الكذب، وحرفوا كلامه ، كما حذر الرسول ﷺ أمته من الكذب عليه، وقد تناقل أهل العلم الذين فقهوا دين ربهم التحذير من الافتراء على عباد الله بأن ينسب إليهم ما لم يقولوه ، وتحريف كلامهم انتصاراً للرأي واتباعاً للهوى.

وقد تناول هذه القضية أبو الحسن الأشعري في مقدمة « مقالات الإسلاميين » ، وقال في ذلك: «رأيت الناس في حكاية ما يحكون من ذكر المقالات، ويصنفون في النحل والديانات، من بين مقصّر فيما يحكيه، وغالط فيما يذكره من قول مخالفيه ، ومن بين متعمد للكذب في الحكاية إرادة التشنيع على من يخالفه ، ومن بين تارك للتقصي في روايته لما يرويه

من اختلاف المختلفين ، ومن بين من يضيف إلى قول مخالفيه ما يظنُّ أن الحجة تلزمهم به ، وليس هذا سبيل الربانيين، ولا سبيل الفطناء المميزين » [1].

وهذا الذي نعاه أبو الحسن الأشعري على الباحثين في الديانات والحاكين لمقالات الفرق والمذاهب من التقصير والغلط وتعمد الكذب وقع فيه كثير من الباحثين في مذهب أبي الحسن الأشعري ، والحاكين لمقالاته من بعده، لا فرق في ذلك بين محبيه ومبغضيه.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: الأشعري ابتلي بطائفتين:

« طائفة تبغضه ، وطائفة تحبه ، كل منهما يكذب عليه » [2].

وسنحاول في هذا المبحث أن نبين موقف الفرق المختلفة منه .

---

(١) مقالات الإسلاميين : ص١ .
(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ١٢/ ٢٠٤ .

١ـ موقف المعتزلة من أبي الحسن الأشعري

لقد غص المعتزلة بأبي الحسن الأشعري بعد رحيله عنهم ، واعتزاله لهم ، وتحوله إلى أهل السنة والجماعة ، فصاروا حرباً عليه ، وجهوا إليه أسنتهم ورماحهم ، ورموه بكل قبيح .

يقول ابن عساكر في هذا الفريق: « لما انتقم أبو الحسن الأشعري من أصناف أهل البدع بإيضاح الحجج والأدلة انتقاماً ، ووجدوه لدى الحجاج في تبيين الاحتجاج عليهم فيما ابتدعوه هماماً ، قالوا فيه حسدا من البهتان ما لا يجوز لمسلم أن ينطق به استعظاماً ، وقذفوه بنحو ما قذفت به اليهود عبدالله بن سلام وأباه سلاماً »[1].

ونقل ابن عساكر عن أبي بكر إسماعيل بن أبي محمد بن إسحاق المعروف بابن عزرة أن أبا الحسن الأشعري ألف من المؤلفات ما أظهر عوار المعتزلة «فصار عند المعتزلة ككتابي أسلم، وأظهر عوار ما

---

(١) تبيين كذب المفتري :٣٩ .

تركه، فهو أعدى الخلق إلى أهل الذمة ، وكذلك الأشعري أعدى الخلق إلى المعتزلة ، فهم يشنعون عليه من الأشانيع وينسبون إليه الأباطيل »[1].

ويزعم فريق من أهل الاعتزال أنهم تابعوا أبا الحسن الأشعري فيما تلبسوا به من الضلال، وقد ذكر ابن درباس فيما نقله عنه الشيخ حماد الأنصاري[2] أن أحمد بن ثابت العراقي قال في مؤلفه المسمى (تبيان مسألة الاستواء): « رأيت هؤلاء الجهمية ينتمون في نفي علو الله على العرش ، وتأويل الاستواء إلى أبي الحسن الأشعري ، وما هذا بأول باطل ادعوه ، وكذب تعاطوه » .

وما قاله أحمد بن ثابت حق ، فإنه لا يمكن أن يكون أبو الحسن على المذهب الذي انخلع منه ، وكيف يوافق المعتزلة من نصب نفسه للرد عليهم ، ودحض شبهاتهم ، وقد اشتد أبو الحسن على المعتزلة شدّة كبيرة ، وتناول أعلامهم بالتجريح والتقبيح .

---

(١) تبيين كذب المفتري :٣٩ .

(٢) في كتابه أبو الحسن الأشعري: ص ١٧

ومن ذلك ما قاله في مقدمة كتابه التفسير المسمى (بالمختزن) فيما نقله عنه ابن عساكر، « أهل الزيغ والتضليل تأولوا القرآن على آرائهم ، وفسروه على أهوائهم تفسيراً لم ينزل الله به سلطاناً ، ولا أوضح به برهاناً، ولا رووه عن رسول رب العالمين ، ولا عن أهل بيته الطيبين ، ولا عن السلف المتقدمين من أصحابه والتابعين ، افتراء على الله ؛ قد ضلوا وما كانوا مهتدين .

وإنما أخذوا تفسيرهم عن أبي الهذيل بياع العلف ومتبعيه ، وعن إبراهيم نظام الخرز ومقلديه ، وعن الفوطي وناصريه ، وعن المنسوب إلى قرية جبى ومنتحليه، وعن الأشج جعفر بن حرب ، ومجتبيه ، وعن جعفر بن ميسر القصبي ومتعصبيه ، وعن الإسكافي الجاهل ومعظميه ، وعن الفروي المنسوب إلى مدينة بلخ وذويه ، فإنهم قادة الضلال من المعتزلة الجهال الذين قلدوهم دينهم، وجعلوهم معوَّلهم الذي عليه يعولون ، وركنهم الذي إليه يستندون .

ورأيت الجبائي ألف في تفسير القرآن كتاباً أوله

على خلاف ما أنزل الله - عزّ وجلّ - وعلى لغة أهل قريته المعروفة بجبى ، وليس من أهل اللسان الذي نزل به القرآن ، وما روى في كتابه حرفاً واحداً عن أحد المفسرين، وإنما اعتمد على (ما) وسوس به صدره وشيطانه »[1] .

وقد وصفهم في كتابه (الإبانة) بأهل الزيغ ، وعدهم فيه من أهل البدع ، ورماهم بأنهم رعاع الناس وجهالهم ، ومن مقالته فيهم: « إن الزائغين عن الحق من المعتزلة وأهل القدر مالت بهم أهواؤهم إلى تقليد رؤسائهم ، ومن مضى من أسلافهم »[2].

وقال أيضاً: « جميع أهل البدع من الجهمية والمرجئة والحرورية أهل الزيغ فيما ابتدعوا خالفوا الكتاب والسنة وما كان عليه النبي عليه السلام وأصحابه ، وأجمعت عليه الأمة كفعل المعتزلة والقدرية »[3].

وقال أيضاً: « أنكرتم قول المعتزلة والقدرية

---

(١) تبيين كذب المفتري :١٣٨ .
(٢) الإبانة:٦ .
(٣) الإبانة:٨ .

والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة، فعرفونا قولكم الذي به تقولون »[1].

واحتج في إبانته لصحة القول بأن القرآن غير مخلوق بالأدلة من كتاب الله ، وصرح بان أحداً من أئمة الهدى الذين يؤخذ قولهم قد قال بهذا القول ، ثم قال: « وإنما قال بذلك رعاع الناس ، وجهال من جهالهم ، لا موقع لهم »[2].

ونقل ابن عساكر أن الأشعري مات وهو يلعن المعتزلة ، فقد نقل ابن عساكر عن أبي علي زاهر بن أحمد الفقيه رحمه الله قال: «مات أبو الحسن الأشعري رحمه الله ورأسه في حجري ، وكان يقول شيئاً في حال نزعه من داخل حلقه ، فأدنيت إليه رأسي وأصغيت إلى ما كان يقرع سمعي ، فكان يقول: لعن الله المعتزلة موهوا ومخرقوا »[3].

فكيف يكون من هذه مقالته في المعتزلة موافقاً لهم سائراً على منهجهم وطريقتهم ، ولكنه التلبيس الذي

---

(١) الإبانة:٨ .
(٢) الإبانة:٢٣ .
(٣) تبيين كذب المفتري :١٤٨ .

يلبسون به على من قل علمه ، ليجوز باطلهم عليه ، ويسحبوه إلى شركهم بتدليسهم عليه .

وقد ذكر ابن درباس الشافعي فيما نقله عنه الشيخ حماد الأنصاري أنه عرض كتاب (الإبانة) لأبي الحسن الأشعري على عظيم من عظماء الجهمية الذين يزعمون أنهم على طريقة أبي الحسن رحمه الله ، فأنكر تلك الرسالة وجحدها ، وقال: ما سمعنا بها قط ، ولا هي من تصنيفه ، وأعمل ذلك الجهمي فكره في إيجاد المخرج ، فقال بعد تقدير وتأمل: لعله ألفها لما كان حشوياً [(١)] .

ويدلك على بطلان فرية المعتزلة في نسبتهم أبي الحسن إليهم تلك المؤلفات الكثيرة التي فضح بها باطلهم ، وهتك بها سترهم ، ومنها:

١ـ خلق الأعمال: نقض فيها اعتلالات المعتزلة والقدرية في هذا الباب .

٢ـ الاستطاعة : نقض فيها كلام المعتزلة في هذا الباب .

---

(١) أبو الحسن الأشعري ، لحماد الأنصاري: ص١٨ .

٣ـ الصفات : كتاب كبير نقض فيه كتاب سابق له على طريق أهل الاعتزال .

٤ـ جواز رؤية الله : أبطل فيه كلام المعتزلة في نفيهم الرؤية .

٥ـ كتاب في الجسم .

٦ـ كتاب كبير نقض فيه كتاب (الأصول) للجبائي.

٧ـ نقض تأويل الأدلة على البلخي في أصول المعتزلة .

ذكر هذه المؤلفات وغيرها ابن عساكر [1].

(١) تبيين كذب المفتري :ص:١٢٨ ـ ١٣٦ .

٢ـ موقف الأشاعرة من الأشعري

اقتفى كثير من أصحاب أبي الحسن وأتباعه طريقته، ونهجوا نهجه ، فسلكوا الطريق الذي دلّ عليه ، وأرشدهم إليه .

إلا أنّ فريقاً من أتباعه ينكرون ما قرره في (إبانته، ومقالاته) اللذان ألفهما آخر عمره، وينسبون إليه ما يخالف أقواله التي دونها بنفسه.

وبعضهم يؤول كلامه ويحرفه ، كل ذلك تأييداً للمذاهب التي تمكنت من قلوبهم ورست في نفوسهم، وقد عظم عليهم أن يظهروا مخالفة أبي الحسن في مذهبه ، ولم تطب نفوسهم بمفارقة مذهبهم ، فكذبوا على الرجل وحملوه ما لم يتحمله ، وقولوه ما لم يقل ، وأدخلوا في مذهبه ما لم يذهب إليه .

وفريق من مبغضيه أتهمه بالتقية زاعمين أن مذهبه في أسماء الله وصفاته هو خلاف ما قاله وقرره، لأنهم رأوا المنتسبين إليه يقولون بخلاف قوله،ويتهمونه بأنه

قال ما قاله تقية[1].

شبهات الذين ينكرون معتقده ومذهبه

للذين يكابرون في إنكار مذهب أبي الحسن ومعتقده شبهات يلقونها ، يجادلون بها انتصاراً لمذاهبهم ، ولكن شمس الحقيقة تزهق الباطل وتذهبه .

وسنعرض لأهم هذه الشبهات ونبين عوارها.

أـ دعواهم أنه أظهر هذه المقالة تقية :

يزعم بعض هؤلاء أنه أظهر ما أظهره في إبانته وغيرها من كتبه تقية ومداراة ، وهؤلاء إنما يدلسون على أنفسهم بهذه المقالة ، فإن أبا الحسن نصب نفسه فاضحاً للمعتزلة ناصراً لأهل السنة أربعة وعشرين عاماً، أي من حين رجوعه عن الاعتزال [2]، ونقض

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ١٢/ ٢٠٤ .

(٢) أنكر بعض الفضلاء المعاصرين ما تردد على السنة كثير من أهل العلم وفي مدوناتهم من أن أبا الحسن الأشعري اقام على مذهب الاعتزال هذه المدة من عمره، وإنما قام هذا الإشكال عنده لأنه احتسب بدء الاربعين من وقت نضجه العلمي في السابعة عشرة أو قريباً منها ، والعلماء الذين قالوا هذه المقالة أرادوا بمدة بقائه على الاعتزال الفترة التي عاشها في كنف زوج أمه الجبائي ،وكانت منذ ولادته إلى حين تحوله في سنة :٣٠٠ هـ ، وذلك قبل وفاة الجبائي بثلاث سنوات .

ما ألفه لهم ، بالكتب التي ألفها في مذهب أهل السنة، وأعلن على الملأ رجوعه إلى الحق .

وهؤلاء يدّعون أن أبا الحسن كان جباناً يقول خلاف ما يبطن ، ومن عرف سيرته فإنه يجزم أنه لم يكن كذلك ، فإنّه عندما كان على مذهب الاعتزال كان واضحاً في إبانة معتقده ، وكان في الاعتزال رأساً ، وألف تآليف للمعتزلة كانت من العمد عندهم، وعندما اقتنع بمذهب أهل السنة أعلن ذلك على الملأ، ولم يمار ، ولم يداج ، فلم يكن هذا من طبعه .

ومن درس أقواله في مؤلفاته لا يجدها متناقضة تناقض الذين يرون التقية ، ويسلكون مسالكها .

وقد رد شيخ الإسلام ابن تيمية مقالة الذين يزعمون أن أبا الحسن قال ما قال من باب التقية ، فقال:

« هذا كذب على الرجل ، فإنه لم يوجد له قول باطن يخالف الأقوال التي أظهرها ، ولا نقل أحد من خواص أصحابه ولا غيرهم عنه ما يناقض هذه الأقوال الموجودة في مصنفاته ، فدعوى المدعي أنه كان يبطن

خلاف ما يظهر دعوى مردودة شرعاً وعقلاً ، بل من تدبر كلامه في هذا الباب - في مواضع - تبين له قطعاً أنه كان ينصر ما أظهره »[1].

وإنما ادعى الذين يحبونه ويخالفونه هذه الدعوى فيما أثبته من الصفات الخبرية « لئلا يقال: أنهم خالفوه »[2].

ب -التكذيب بمؤلفاته والطعن في نسبتها إليه:

وادعى فريق آخر أن المؤلفات التي تناقض ما هم عليه سائرون دسها أعداؤه عليه كذباً وزوراً ، وهذه دعوى ساقطة ، وكأنها آهة مكروب ،لم يدر لحيرته وكربه كيف يتصرف أو يقول ، ومثل هذا القائل مثل الذي يريد أن يحجب الشمس بغربال ، أو كمثل الذي يريد إطفاء نور الشمس بما يطلقه من دفعات الهواء التي تخرج من بين شفتيه .

لو كان لأبي الحسن الأشعري مؤلف واحد أو اثنان أو ثلاثة فحسب ، لجاز أن يكون لهذا القول نصيب

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ١٢/ ٢٠٤ .

(٢) في كتابه أبو الحسن الأشعري : ٩ - ١٢ .

من الصحة ، ولكن مؤلفاته تربى على المائة ، قال أبو القاسم ابن عساكر: « ذكر أبو محمد ابن حزم أن أبا الحسن الأشعري له خمسة وخمسون تصنيفاً »[1]، وقال ابن عساكر معقباً على ذلك: « وقد ترك من عدد مصنفاته أكثر من مقدار النصف ، وذكرها أبو بكر بن فورك مسماة تزيد على الضعف »[2] .

وقد نقل ابن عساكر عن ابن فورك المؤلفات التي ألفها أبو الحسن الأشعري إلى سنة ٣٢٠ هـ فبلغت قرابة سبعين مؤلفاً ، وأسامي هذه الكتب منقولة من كتاب «العمدة» إحدى مؤلفات أبي الحسن الأشعري .

وليس هذا كل ما ألفه أبو الحسن الأشعري، فإن ما لم يذكره أبو الحسن مما ترك ذكره لصغره ، أو لأنه ألفه بعد عام ٣٢٠ هـ كثير ، أضف إلى هذا أن بعض كتبه في عشرات المجلدات ككتابه في التفسير المسمى بـ(المختزن) .

وقد ركز كثير من السائرين في هذا المسار على

(١) تبيين الكذب المفتري :ص:٩٢ .
(٢) تبيين الكذب المفتري :ص٩٢ .

جحدهم لكتاب (الإبانة) ، فإنها على الرغم من صغرها دلت على معتقده بأوضح عبارة وأوفى إبانة ، والتحقيق العلمي يبطل دعوى من زعم أن كتاب (الإبانة) مكذوبة على أبي الحسن الأشعري .

ويدلك على عدم صحة هذه الفرية أن جمعاً من أهل العلم والديانة ، وأهل التحقيق والأمانة منذ قديم الزمان كانوا ولا يزالون ينسبونها لأبي الحسن ، وحسبنا أن ابن عساكر رحمه الله تعالى الذي ذب عن أبي الحسن الأشعري ،وفند المفتريات التي نسبت إليه لم يتردد في نسبة (الإبانة) إليه ، ومما قاله في ذلك : « وتصانيف أبي الحسن بين أهل العلم مشهورة معروفة ، وبالإجادة والإصابة للتحقيق عند المحققين موصوفة ، ومن وقف على كتابه المسمى بالإبانة عرف موضعه من العلم والديانة» [1] .

وقد نقل ابن عساكر رحمه الله قسماً كبيراً من كتاب (الإبانة) عازياً ذلك النقل لذلك الكتاب [2] .

---

(١) تبيين كذب المفتري :ص:٢٨ .
(٢) تبيين كذب المفتري :ص١٥٢ .

ونقل ابن عساكر كثيراً من الشعر الذي صاغه قائلوه دفاعاً عن أبي الحسن الأشعري ، وبياناً لمذهبه ومعتقده،ومن ذلك قول أحدهم[1]:

لو لم يصنف عمره غير الإبانة واللمع
لكفى فكيف وقد تفنن في العلوم بما جمع

وقد تتبع الشيخ حماد بن محمد الأنصاري[2] أقوال أهل العلم الذين نسبوا الإبانة لأبي الحسن الأشعري غير ابن عساكر فبلغوا: (١٥) عالماً وهم:

١ـ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي في كتابه الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد: ص٣٢ .

٢ ، ٣ - الحافظ الذهبي في كتابه العلو للعلي الغفار ، ص: ٢٧٨ ، قال فيه « كتاب الإبانة من أشهر تصانيف أبي الحسن الأشعري، شهره الحافظ ابن عساكر ، واعتمد عليه ، ونسخه بخط الإمام محي الدين النواوي ، ونقل الذهبي إثبات نسبة (الإبانة) لأبي الحسن الأشعري إلى أبي العباس أحمد بن ثابت

---

(١) تبيين كذب المفتري :ص:١٧١ .
(٢) في كتابه:أبو الحسن الأشعري:١٢ـ ١٩ .

الطوفي .

٤ـ ابن فرحون المالكي في كتابه الديباج المذهب: ١٩٣ .

٥ـ أبو الفلاح عبدالحي ابن العماد الحنبلي في كتابه شذارات الذهب: ٢/٣٠٣ .

٦ـ السيد مرتضي الزبيدي في كتابه: إتحاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين: ٢/٣.

٧ـ ابن كثير في كتابه البداية والنهاية.

٨ـ أبو القاسم عبدالملك بن عيسى بن درباس الشافعي في رسالته « الذب عن أبي الحسن الأشعري».

٩ـ أحمد بن ثابت العراقي .

١٠ـ أبو عثمان إسماعيل بن عبدالرحمن بن أحمد الصابوني

١١ـ أبو علي الحسن بن علي بن إبراهيم الفارسي.

١٢ـ أبو المعالي مجلي صاحب كتاب الذخائر في الفقه .

١٣ـ أبو محمد ابن البغدادي نزيل مكة .

ذكر إثبات هؤلاء الخمسة كتاب (الإبانة) لأبي الحسن الأشعري ابن درباس في كتابه السابق الذكر .

١٤ـ شيخ الإسلام ابن تيمية ، وقد ذكره في أكثر من موضع من مؤلفاته .

١٥ـ ابن قيم الجوزية في كتابه: اجتماع الجيوش الإسلامية: ص: ١١١ .

ولم يكتف العلماء بنسبة الإبانة إلى أبي الحسن الأشعري ، بل نقل كثير من الأئمة الأعلام من فقهاء الإسلام وأئمة القراء وحفاظ الحديث وغيرهم أجزاء منها في مؤلفاتهم ومدوناتهم ، وعند مقابلتنا لبعض ما اطلعنا عليه مما نقلوه في مؤلفاتهم وجدناه مطابقاً للرسالة المطبوعة المتداولة اليوم مما ينفي دعوى أن كتاب (الإبانة) قد غير وبدل .

ومن هؤلاء الذين أوردوا في كتبهم مقاطع من الإبانة ابن عساكر رحمه الله المتوفى سنة: ٥٧١ هـ ، في كتابه:« تبيين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام

أبي الحسن الأشعري » ذكر مقطعاً كبيراً من كتاب (الإبانة) من ص: ١٥٢ إلى ص: ١٦٣ .

وذكر ابن درباس الشافعي المتوفي في كتابه « الذب عن أبي الحسن الأشعري » أنه وجد كتاب (الإبانة) بخط أبي الفتح نصر المقدسي ببيت المقدس .

وذكر ابن درباس أن الحافظ أبا محمد المبارك بن علي البغدادي نقل كتاب (الإبانة) من نسخة كانت مع الشيخ الفقيه مجلي الشافعي ، ويذكر أنه نقل هذا في عام: ٥٤٠هـ .

بمكة وذكر ابن درباس أنه شاهد نسخة من الإبانة بخط أبي محمد بن علي البغدادي ، وذكر أن تلك النسخة صارت إلى شيخه الإمام رئيس العلماء الفقيه الحافظ العلامة أبي الحسن بن المفضل المقدسي ، ويذكر ابن درباس أنه نسخ نسخة منها ، وقابلها على النسخة التي وجدها التي كتبها أبو نصر المقدسي .

وهب أن (الإبانة) لم يدونها أبو الحسن الأشعري، وأنها نسبت إليه كذباً وزوراً ، أيقول أحد مثل هذه المقالة في « مقالات الإسلاميين » .

لقد أبان أبو الحسن في « المقالات » مذهب أهل السنة بياناً واضحاً لا يختلف عما ذكره في كتاب (الإبانة) [1] ، بل إن النصين قد يتفقان في كثير من الأحيان لفظاً ومعنى ، والدراسة المنصفة لأسلوب أبي الحسن في (الإبانة) ومقالات الإسلاميين فيما حكاه عن مذهب أهل السنة تدل بوضوح على أنهما صدرا عن عالم واحد .

ومن راجع قائمة الكتب التي ألفها أبو الحسن الأشعري ، ونقلها عنه ابن عساكر [2] يعلم أن مذهبه وعقيدته هو ما دونه في كتبه المطبوعة أمثال: الإبانة ، ومقالات الإسلاميين، ورسالة أهل الثغر ، ولا بدَّ أن يكتشف شيء كثير من تلك المؤلفات الكثيرة ، وسيرى الذين ينكرون صحة نسبة كتبه المطبوعة إليه أن سهمهم لم يصب الهدف ، وأنهم لم يكونوا منصفين .

جـ - الزعم بأنَّ أبا الحسن رجع عما قاله في الإبانة:

وهذا الزعم كبقية المزاعم الباطلة السابقة ، وقد رد

(١) راجع مقالات الإسلاميين :ص:٢٩٠ - ٢٩٧ .
(٢) تبيين كذب المفتري :ص١٢٨ .

هذه المقالة أبو القاسم عبدالملك بن عيسى بن درباس الشافعي فيما نقله عنه الشيخ حماد الأنصاري [١] .

قال ابن درباس في كتابه « الذب عن أبي الحسن الأشعري »: « اعلموا معشر الإخوان أن كتاب (الإبانة عن أصول الديانة) الذي ألفه الإمام أبو الحسن الأشعري هو الذي استقرَّ عليه أمره فيما كان يعتقده ، وبه كان يدين الله ـ سبحانه وتعالى ـ بعد رجوعه من الاعتزال بمنَّ الله ولطفه .

وكل مقالة تنسب إليه الآن مما يخالف ما فيه فقد رجع عنها وتبرأ إلى الله سبحانه منها، وكيف وقد نص فيه على أنه ديانته التي يدين الله سبحانه بها ، وروى وأثبت أنه ديانة الصحابة والتابعين وأئمة الحديث الماضين ، وقول أحمد بن حنبل رضي الله عنهم أجمعين، وأن ما فيه هو الذي يدل عليه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

فهل يسوغ أن يقال إنه رجع عن هذا إلى غيره ؟ فإلى ماذا يرجع ؟ أتراه يرجع عن كتاب الله وسنة نبي

(١) في كتابه أبو الحسن الأشعري: ص:١٦ .

الله ، خلاف ما كان عليه الصحابة والتابعون ، وأئمة الحديث المرضيون، وقد علم أنّه مذهبهم ، ورواه عنهم ؟!!

هذا لعمري ما لا يليق نسبته إلى عوام المسلمين ، وكيف بأئمة الدين ؟ أو هل يقال: إنه جهل الأمر فيما نقله عن السلف الماضين مع إفنائه جلَّ عمره في استقراء المذاهب وتعرف الديانات ، هذا مما لا يتوهمه منصف، ولا يزعمه إلا مكابر مسرف » .

٣ـ موقف
الحنابلة من الأشعري وموقفه منهم

ذكرت فيما سبق ما صرح به أبو الحسن الأشعري في (الإبانة) من إتباعه لقول أمام أهل السنة والجماعة الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله ، وثنائه عليه ، وهذا جعل الإمام أبي الحسن قريباً للحنابلة المعاصرين له والذين جاؤوا من بعده .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ذاكراً ما بين الإمام أبي الحسن الأشعري والسائرين على مذهبه من أصحابه وبين الحنابلة من اتفاق: « لما كان أبو الحسن الأشعري وأصحابه منتسبين إلى السنة والجماعة كان منتحلاً للإمام أحمد ، ذاكراً أنه مقتد به متبع سبيله .

وكان بين أعيان أصحابه من الموافقة والمؤالفة لكثير من أصحاب الإمام أحمد ما هو معروف ، حتى إن أبا بكر عبدالعزيز يذكر من حجج أبي الحسن في كلامه مثل ما يذكر من حجج أصحابه ، لأنه كان عنده من متكلمة أصحابه .

وكان من أعظم المائلين إليهم التميميون: أبو الحسن التميمي وابنه وابن ابنه ونحوهم ، وكان بين أبي الحسن التميمي وبين القاضي أبي بكر بن الباقلاني من المودة والصحبة ما هو معروف مشهور ، ولهذا اعتمد الحافظ أبو بكر البيهقي في كتابه الذي صنفه في مناقب الإمام أحمد ـ لما ذكر اعتقاده ـ على ما نقله من كلام أبي الفضل عبدالواحد بن أبي الحسن التميمي ، وله في هذا الباب مصنف ذكر فيه من اعتقاد أحمد ، ولم يذكر فيه ألفاظه ، وإنما ذكر جمل الاعتقاد بلفظ نفسه»[1].

وذكر ابن تيمية رحمه الله تعالى أن « أئمة الحنابلة المتقدمين كأبي بكر بن عبدالعزيز وأبي الحسن التميمي ونحوهما كانوا يذكرون كلامه « أي كلام أبي الحسن الأشعري » في كتبهم.

بل كان عند متقدميهم كابن عقيل عند المتأخرين ، لكن ابن عقيل له اختصاص بمعرفة الفقه والأصول ، وأما الأشعري فهو أقرب إلى أصول أحمد من ابن

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ١٦٧/٤ .

عقيل وأتبع لها ، فإنّه كلما كان عهد الإنسان بالسلف أقرب كان أعلم بالمعقول والمنقول »[1].

وقال ابن تيمية أيضاً: « الأشعري نفسه لما كان أقرب إلى قول الإمام أحمد ومن قبله من أئمة أهل السنة كان عندهم أعظم من أتباعه ، والقاضي أبو بكر ابن الباقلاني لما كان أقربهم إلى ذلك كان أعظم عندهم من غيره » .

وقال ابن تيمية أيضاً: « الأشعري كان أعظم موافقة للإمام أحمد بن حنبل ومن قبله في القرآن والصفات»[2] .

وقال السبكي في طبقات الشافعية الكبرى: « أبو الحسن الأشعري كبير أهل السنة بعد الإمام أحمد بن حنبل ، وعقيدته وعقيدة أحمد رحمه الله تعالى واحدة، لا شكَّ في ذلك ولا ارتياب ، وبه صرح الأشعري في تصانيفه ، وذكره غير ما مرة من أن عقيدتي هي عقيدة الإمام المبجل أحمد بن حنبل ،

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ٢/ ٢٢٨.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ٤/ ١٩.

هذه هي عبارة الشيخ أبي الحسن في غير موضع من كلامه » .

وفي أواسط القرن الخامس الهجري وقعت جفوة بين الأشاعرة والحنابلة يقول ابن كثير: «وفي سنة ٤٤٧هـ وقعت الفتنة بين الأشاعرة والحنابلة » .

وقد نقل ابن عساكر رحمه الله تعالى قسماً كبيراً من كتاب (الإبانة) لأبي الحسن الأشعري ، ثم قال فيما قاله معقباً على ما نقله من (الإبانة) : «وتبينوا فضل أبي الحسن ، واعرفوا إنصافه ، واسمعوا وصفه لأحمد بالفضل واعترافه ، لتعلموا أنهما كانا في الاعتقاد متفقين ، وفي أصول الدين ومذهب السنة غير مفترقين ... حتى حدث الاختلاف في زمن أبي نصر القشيري ووزارة النظام ،ووقع بينهم الانحراف من بعضهم عن بعض لانحلال النظام »[1].

ويذكر ابن عساكر أن أصل الفتنة كانت بسبب وزير طغر لبك أبو نصر منصور بن محمد الكندري وكان معتزليا رافضياً ، فقد استغل أمر السلطان طغرلبك

---

(١) تبيين كذب المفتري :١٦٣ .

بلعن المبتدعة فأدخل الوزير في صف المبتدعة اسم الأشعرية، وكان السلطان سنياً حنفياً ، ولكن لَبسَ الأمر عليه وزيره »[1]

الدعوة إلى الوفاق على كلمة سواء

وقد كان العلماء الصالحون الذين يخافون ربهم يدعون إلى الوفاق ، وذلك بدعوتهم إلى المنهج الحق، فإنهم يبصرون الناس بالحق ويدعونهم للالتفاف حوله، والاجتماع عليه .

وقد كان جانب كبير من الجفوة التي وقعت بين أتباع الإمام أبي الحسن والحنابلة راجعة إلى تبني فئة من كل فريق لمبادئ وأصول غير الأصول الصحيحة التي ارتضاها الإمام أحمد وسار عليها أبو الحسن من بعده .

وإذا اختلفنا في الحق وقعت بيننا العداوة والبغضاء كما وقع للنصارى من قبل ، قال تعالى: ﴿ ومن الذين قالوا إنّا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظاً مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم

---

(١) تبيين كذب المفتري :١٠٨ .

القيامة﴾[1].

ومن دعا إلى رأب الصدع ولم الشعث على منهج سواء الإمام العلامة ابن تيمية رحمه الله تعالى ، فإنّه أظهر مقالة الإمام أبي الحسن الأشعري التي كادت تندثر معالمها ، ويذهب ضوؤها ، بما نسب إلى أبي الحسن ما لم يقله، ولم يرتضيه من مذاهب وأقوال .

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «والناس يعلمون أنه كان بين الحنبلية والأشعرية وحشة ومنافرة، وأنا كنت من أعظم الناس تأليفاً لقلوب المسلمين ، وطلباً لاتفاق كلمتهم، واتباعاً لما أمرنا به من الاعتصام بحبل الله ، وإزالة عامة ما كان في النفوس من الوحشة ، وبينت لهم أن الأشعري كان من أجلّ المتكلمين المنتسبين إلى الإمام أحمد رحمه الله ونحوه ، المنتصرين لطريقه ، كما يذكر الأشعري ذلك في كتبه»[2].

وقد أثر كلام ابن تيمية هذا في حنابلة عصره ،

---

(١) سورة المائدة : ١٤ .

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام:٣/ ٢٢٧ .

يقول شيخ الإسلام « ولما أظهرت كلام الأشعري ، ورآه الحنبلية قالوا: هذا خير من كلام الشيخ الموفق ، وفرح المسلمون باتفاق الكلمة ، وأظهرت ما ذكره ابن عساكر في مناقبه أنه لم تزل الحنابلة والأشاعرة متفقين إلى زمن القشيري ، فإنه لما جرت تلك الفتنة ببغداد تفرقت الكلمة »[1].

ولا يزال لدعوة ابن عساكر وابن تيمية وأمثالهما وجود حتى اليوم ، فهناك من فقه منهج أبي الحسن وطريقته ، واتباعه لمنهج أهل السنة والجماعة وتبنيه لأصولهم ، فهم يدعون إلى كشف الزيف الذي لبس به معتقد أبي الحسن الأشعري من مبغضيه ومحبيه،ويظهر مقالته وينشر كتبه التي تظهر مقالته ومذهبه .

فقد طبعت الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة كتاب (الإبانة عن أصول الديانة) في عام ١٩٧٥ م ، وقالت في التعريف بالمؤلف على صفحة الغلاف: «الإبانة عن أصول الديانة » لإمام المتكلمين ، ناصر

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام:٣/٢٢٨ .

سنة سيد المرسلين ، والذاب عن الدين: الشيخ أبي الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن عبدالله بن أبي موسى بن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري ، صاحب رسول الله ﷺ .

المتوفى سنة بضع وعشرين وثلاثمائة » .

وجاء في مقدمة هذه الرسالة: (ص: ٢): « لما كانت الطائفة الكبرى للمسلمين هم أهل السنة والجماعة ، وكان الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري قد قام في وجه الجهمية وغيرهم من الفرق الضالة، فأصبح غرضاً ينسبون إليه كثيراً من الأمور الباطلة، وهو منها بريء ، لأنه سلفي محض ، لم يخرج عن الجادة التي سلكها الصحابة الكرام، والسلف الصالح كما تشهد بذلك كتبه ، ولم يتحول عما كان عليه الرسول الأعظم وأصحابه صلى الله عليه وآله وسلم » .

ثم بين كاتب المقدمة السبب الذي دعا إلى نشر الرسالة فقال: « فخدمة للعلم ، وحباً لنشره ، وجمعاً لكلمة المسلمين ، التي تفرقت بدون وجود علة

أو سبب غير سوء التفاهم ، وتصديق الدسائس ، ومجرد التهم التي يلقيها الخصم بقصد إيجاد النفرة والنزاع ، شرعنا في طبع كتاب (الإبانة) الذي ألفه الإمام نفسه رداً على الحشوية والجهمية ، ليتضح الحق لذي عينين ، ويستبان النور من الظلمة ، كي تذهب دسائس الأفاكين هباءً منثوراً » .

وقد اطلعت على رسالة صغيرة الحجم كبيرة الفائدة كتبها الشيخ حماد بن محمد الأنصاري، وقدم لها فضيلة شيخنا الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز حفظه الله ، قال في مقدمته لها : « فقد اطلعت على هذه الرسالة القيمة التي جمعها أخونا وصاحبنا الشيخ حماد ابن محمد الأنصاري المدرس في كلية الشريعة في الرياض في بيان شيء من ترجمة أبي الحسن ابن إسماعيل الأشعري ، وبيان رجوعه عن مذهب المعتزلة، واعتناقه مذهب أهل السنة في إثبات أسماء الله الحسنى وصفاته العلا على الوجه الذي يليق بالله سبحانه من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل ، كما صرح بذلك علماء الحديث ، ودرج

عليه سلف الأمة والصحابة رضوان الله عليهم ، والتابعون لهم بإحسان ، وهذا هو الذي صرح به أبو الحسن في كتبه المشهورة كالمقالات والموجز والإبانة»[1].

---

(١) مقدمة كتاب: «أبو الحسن الأشعري» لحماد بن محمد الأنصاري: ص٢.

الدعوة إلى الوحدة
على الأصول واتباع السنة

والدعوة التي ندعو لها ونادى إليها أئمتنا وعلماؤنا هي الاجتماع على السنة والجماعة ، فنحن لا ننادي إلى التجمع على غير ذلك ، وهذا ما دعا إليه أبو الحسن الأشعري ، فإنه لم يصنع مذهباً جديداً ، ولا أمر أحداً بمتابعته، والتسمي باسمه ، بل دعا إلى مذهب أهل السنة والجماعة الذي كان عليه السلف الصالح وأهل الحديث كما صرح بذلك في مؤلفاته .

وإذا جاز لأحد أن يكون في الفروع على مذهب الحنابلة أو الشافعية أو المالكية أو الحنفية أو غيرهم فلا يصح ذلك في الأصول ، لأن الأصول متفق عليها عند أهل السنة ، ولا مذاهب فيها ، بل أهل السنة جميعاً مذهب واحد وطائفة واحدة في الاعتقاد ، ويقف في مواجهتهم الفرق التي انحرف بها المسار ، كالخوارج ، والمعتزلة والشيعة .

فلا يقال: إنه كان لأهل السنة في الاعتقاد مذاهب شتى ، فأبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة وسفيان بن عيينه والثوري والأوزاعي وغيرهم من قبلهم ومن بعدهم من أعلام أهل السنة كلهم من أهل السنة والجماعة لا يختلفون في باب الاعتقاد ، وليس لهم فيه مذاهب .

والمذاهب عند أهل السنة لا تكون إلا في الفروع .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في المنهج الحق الذي ينبغي أن يدعى إليه ، ويصار إليه: « لم أدع أحداً قط في عمري إلى ساعتي هذه في أصول الدين إلى مذهب حنبلي وغير حنبلي ، ولا انتصرت لذلك ، ولا أذكره في كلامي ، ولا أذكر إلا ما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها »[١].

٤ـ الفريق المنصف لأبي الحسن الأشعري

أنصف فريق أبا الحسن فيما ذهب إليه وقرره ، وقد تعمق هذا الفريق في دراسة مذهبه ، وفقه عنه

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ٣/ ٢٢٩ .

مراده ، ولم يتعسف في فهم كلامه وتحريفه وتأويله ورده ، ولم يرمه بالنفاق ، والزعم بأنه يبطن خلاف ما يظهره.

وهؤلاء يعلمون أنَّ أبا الحسن الأشعري ليس معصوماً ، بل هو بشر يخطئ ويصيب ، ويحمدون له شجاعته في التراجع عن خطئه ، وأوبته إلى الحق ، فقد كان معتزليا دهراً طويلاً، فلما استبان له الحق انخلع عن الباطل الذي كان عليه ، وأعلن ذلك للناس ، وامتشق قلمه لينقض ما قرره في ماضيه من مذهب الاعتزال ، وقد كان لسانه أمضى من قلمه على أهل البدع والضلال ، فحاورهم حواراً أدخلهم فيه جحورهم .

وحمدوا له تصريحه بأحقية منهج أهل السنة بالاتباع، ودعوته إلى متابعة الحق ، ولكنه لم يستطع أن يرتقي إلى فقه منهج أهل السنة فقهاً كاملاً ، وإن كانوا يعتقدون أنه كان مريداً للحق ، ولو استبان له لقال به ، وهذا شأن المخلصين الذين يريدون وجه الله في علمهم وعملهم .

ولا حرج على المحققين من أهل العلم إن هم كشفوا بعض الهنات والمخالفات التي تلبس بها الأشعري في مقالاته ، ونحن إنما نأخذ ما نأخذ ، وندع ما ندع من مقالاته متحاكمين إلى الأصول التي ارتضاها ، وسار عليها .

يقول أبو العباس المعروف بقاضي عسكر فيما نقله عنه ابن عساكر: « خطّأ بعض أصحابنا من أهل السنة أبا الحسن الأشعري في بعض المسائل مثل قوله: «التكوين والمكون واحد » ونحوها ... فمن وقف على المسائل التي أخطأ فيها أبو الحسن ، وعرف خطأه فلا بأس أن ينظر في كتبه »[1].

ويعقب ابن عساكر على ما نقله عن قاضي عسكر بقوله: « وهذه المسألة التي أشار إليها لا تكسب أبا الحسن تشنيعاً ، ولا توجب له تكفيراً ، ولا تضليلاً، ولا تبديعاً ، ولو حققوا الكلام فيها لحصل الاتفاق، وبان بأن الخلاف فيها حاصله الوفاق ، وما زال العلماء يخالف بعضهم بعضاً ، ويقصد دفع قول

(١) تبيين كذب المفتري :ص ١٤٠ .

خصمه إبراماً ونقضاً ، ويجتهد في إظهار خلافه بحثاً وفحصاً ، ولا يعتقد ذلك في حقه عيباً ونقصاً ، وقديماً خالف أبا حنيفة صاحباه، وأجابا في كثير من المسائل بما أباه »[1] .

---

(١) المصدر السابق .

٥ـ موقف ابن تيمية من أبي الحسن

ثناء شيخ الإسلام على أبي الحسن الأشعري لم يمنعه من بيان بعض ما بقي في كلامه من آثار الاعتزال ، وفي ذلك يقول: «كانت خبرة أبي الحسن بالكلام خبرة مفصلة، وخبرته بالسنة خبرة مجملة ، فلذلك وافق المعتزلة في بعض أصولهم التي التزموا لأجلها خلاف السنة ، واعتقد أنه يمكنه الجمع بين تلك الأصول ، وبين الانتصار للسنة »[1] .

وقد برأ شيخ الإسلام رحمه الله تعالى أبا الحسن أن يكون قوله قول الجهم بن صفوان أو قريباً منه ، ووصف من ادعى هذه الدعوى بأنه جاهل بمذهب الأشعري ، ومذهب الجهم ابن صفوان ، إذ الجهمية يقولون بخلق القرآن، والأشعري يقول بقدم القرآن ، وأن كلام الإنسان مخلوق للرحمن .

وقرر أن قول ابن كلاب والأشعري ونحوهما في صفات الله ليس هو قول الجهمية، ولا قول المعتزلة ،

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام :١٢/٢٠٤ .

وأن لهؤلاء مصنفات في الرد على الجهمية والمعتزلة وبيان تضليل من نفى صفات الله ، وأنهم يكفِّرون الجهمية والمعتزلة تارة ، ويضللونهم أخرى ، وقرر أن الجهم أعظم الناس نفياً للصفات ، أما الأشعري وأئمة أصحابه فلم يختلف قولهم في إثبات الصفات الخبرية، وفي الرد على من يتأولها ، قرر هذا في كتبه ، ونقله عنه سائر الناس .

إلا أن أبا الحسن على ما قرره شيخ الإسلام وافق المعتزلة في بعض أصولهم التي التزموا لأجلها خلاف السنة ، واعتقد أنه يمكن الجمع بين تلك الأصول ، وبين الانتصار للسنة كما فعل في مسألة الرؤية والكلام، والصفات الخبرية ونحو ذلك ، وأعاد شيخ الإسلام هذا الخلل عند الأشعري إلى أنَّ خبرته بالسنة مجملة، بخلاف خبرته في الكلام ، فإنها خبرة واسعة مفصلة .

وهنا يظهر تناقض الأشعري رحمه الله تعالى فإن ما وافق فيه أهل السنة في الصفات الخبرية يناقض ما وافق فيه المعتزلة في الكلام والرؤية ، فلم يسر على

طريق سواء .

ولهذا يقول أتباعه: إنه لم يوافقنا أحد من الطوائف على قولنا في مسألة الرؤية والكلام .

معالم المنهج الذي
سلكه أبو الحسن في التنازع والاختلاف

يقوم منهجه في هذا على عدة معالم:

١ـ الاحتكام إلى الكتاب والسنة والتسليم للنصوص:

يقول في هذا: « ونعوّل فيما اختلفنا فيه على كتاب ربنا ، وسنة نبيناً ، وإجماع المسلمين ، وما كان في معناه »[(١)].

وينقل عن أهل السنة الذين ارتضى مذهبهم أنهم «يسلمون للروايات الصحيحة ، ولما جاءت به الآثار التي رواها الثقات عدلاً عن عدل ، حتى ينتهي ذلك إلى رسول الله ﷺ، ولا يقولون كيف ؟ ولمه ؟ » .

٢ـ ترك الابتداع ومجانبة المبتدعين ، والاشتغال بالكتاب والسنة:

وهو يقول في هذا: « ولا نبتدع في دين الله ما

(١) الإبانة: ١١ .

لم يأذن لنا ، ولا نقول على الله ما لم نعلم » [1] .

وهو يدعو إلى اعتزال المبتدعة والاشتغال بعلم الكتاب والسنة يقول في (إبانته) في هذا : « ونرى مفارقة كل داعية إلى بدعة ، ومجانبة أهل الهوى»[2] .

وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة الذي جعله له مذهباً ، فإنه قال حاكياً مذهبهم في هذه المسألة : «ويرون مجانبة كل داع إلى بدعة ، والتشاغل بقراءة القرآن ، وكتابة الآثار ، والنظر في الفقه مع التواضع والاستكانة وحسن الخلق ، وبذل المعروف ، وكف الأذى ، وترك الغيبة والنميمة والسعاية وتفقد المأكل والمشرب » [3] .

ويقول في رسالة (أهل الثغر) : وأجمعوا على ذم سائر أهل البدع والتبرئ منهم وهم الروافض والخوارج والمرجئة ، والقدرية ، وترك الاختلاط بهم»[4] ثم أورد الأحاديث الناهية عن مخالطتهم .

---

(١) الإبانة : ١٢ .
(٢) الإبانة : ١٣ .
(٣) مقالات الإسلاميين : ٢٩٧ .
(٤) رسالة أهل الثغر : ص٩٥ .

وانظر كلامه الدال على هذا الأصل ، والأصل الذي قبله في رسالة أهل الثغر [1].

٣ـ ترك المراء والجدل والخصومة في الدين:

نقل أبو الحسن عن « أصحاب الحديث وأهل السنة أنهم: « ينكرون الجدل والمراء في الدين والخصومة في القدر والمناظرة فيما يتناظر فيه أهل الجدل ويتنازعون فيه من دينهم » [2].

٤ـ الاعتماد على صحيح الأحاديث:

يذكر أبو الحسن الأشعري أن أصحاب الحديث وأهل السنة: يسلمون للروايات الصحيحة ، ولما جاءت به الآثار التي رواها الثقات عدلاً عن عدل حتى ينتهي ذلك إلى رسول الله ﷺ ، ولا يقولون كيف ، ولا لم، لأن ذلك بدعة [3].

ويقول أيضاً: « ويصدقون بالأحاديث التي جاءت عن رسول الله ﷺ » [4].

---

(١) رسالة اهل الثغر : ص٣٣ .
(٢) مقالات الإسلاميين : ٢٩٤ .
(٣) مقالات الإسلاميين : ٢٩٤ .
(٤) مقالات الإسلاميين : ٢٩٤ .

ومن تأمل كلامه ـ رحمه الله ـ علم أنّ عمدته فيما يثبته من الأسماء والصفات هو ثبوت الخبر به ، فإن كان الحديث ضعيفاً أو مكذوباً لم يرتضيه ، فإن صح الحديث فإنّه لا يشترط فيه التواتر ، ويدلُّ على هذا أمران:

أـ عموم قوله في « مقالاته »: « وما رواه الثقات عن رسول الله » [(١)].

وقوله عن أهل الحديث: « ويسلمون للروايات الصحيحة ، ولما جاءت بها الآثار التي رواها الثقات عدلاً عن عدل حتى ينتهي ذلك إلى رسول الله ﷺ».

وقوله في معتقدهم أيضاً: « ويصدقون بالأحاديث التي جاءت عن رسول الله أن الله ينزل إلى السماء الدنيا » [(٢)].

ب ـ احتجاجه بالأحاديث الآحاد ، فلو كانت طريقته عدم الاحتجاج إلا بالمتواتر لصرح به ، ولم نجد له قولاً يخالف هذا القول فيما اطلعنا عليه من

---

(١) مقالات الإسلاميين .
(٢) انظر على سبيل المثال: الإبانة: ص ٨ ، ٩ ، ١١ ، ١٣ .

مؤلفاته .

ومن هذه الأحاديث التي ذكرها في كتبه أحاديث نزول الرب في ثلث الليل الآخر ، وحديث مسح الرب ظهر آدم ، وحديث خلق الله آدم بيده ، وحديث: (كلتا يديه يمين) وغير ذلك من الأحاديث[1] .

---

(١) مقالات الإسلاميين :٢٩٤ .

مجمل الاعتقاد
وأصوله عند أبي الحسن الأشعري

يقول أبو الحسن الأشعري مبيناً أصول الاعتقاد عنده وعند عموم أهل الإسلام «وجملة قولنا أنا نقُر بالله وملائكته وكتبه ورسله، وبما جاؤوا به من عند الله ، وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ ، لا نرد من ذلك شيئاً ، وأن الله عزَّ وجلَّ لا إله إلا هو فرد صمد ، لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ، وأن الجنة حق ، والنار حق ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور »[1].

وعبارته في (مقالات الإسلاميين) هي نفس عبارته في (الإبانة) مما يدل على أنّ هذين الكتابين صدرا عن شخص واحد ، وأنا أسوق عبارته في المقالات كي تتضح هذه الحقيقة وتتأكد ، وليعلم صدق ما صرح به أن مذهبه مذهب أهل الحديث أهل السنة

---

(١) الإبانة : ٩ .

والجماعة، فإنه صرح في (المقالات) بنسبة العقيدة التي عزاها لنفسه في (الإبانة) بأنها عقيدة أصحاب الحديث وأهل السنة .

يقول رحمه الله تعالى: « جملة ما عليه أهل الحديث والسنة الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وما جاء من عندالله ، وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ ، لا يردون من ذلك شيئاً ، وأن الله سبحانه إله واحد ، فرد صمد ، لا إله غيره ، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن الجنة حق ، وأن النار حق ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور».

عقيدة أبي الحسن
الأشعري في أسماء الله وصفاته
القواعد الضابطة عنده للاعتقاد في هذا الباب

عقيدة أبي الحسن الأشعري في أسماء الله وصفاته تقوم على نهج أهل السنة والجماعة ، وقد صرح في أكثر من موضع بالضوابط الحاكمة للمنهج الذي اعتمده في باب أسماء الله وصفاته ، ونحن نجمعها في موضع واحد ليعلم منهجه الذي سار عليه في هذا الباب:

الأولى: إثبات ما أثبته الله لنفسه من الأسماء والصفات أو أثبته له رسوله ﷺ ، ونفي ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله .

يدلنا على صدق هذا أمور:

١ـ تصريحه بأن هذا المنهج هو منهج أهل الحديث الذين ارتضى طريقتهم ، فإنه قال مبيناً ما كانوا عليه: « جملة ما عليه أهل الحديث والسنة: الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله وما جاء من عند الله ، وما

رواه الثقات عن رسول الله ﷺ لا يردون من ذلك شيئاً »[1].

٢ـ تصريحه بأن هذا الأصل هو طريقته وديانته وقوله الذي يقول به: « قولنا الذي نقول به ، وديانتنا التي ندين بها: التمسك بكتاب ربنا ـ عزَّ وجلَّ ـ وسنة نبينا عليه السلام ، وما روي عن الصحابة والتابعين»[2].

٣ـ إبانته بالإقرار بصفات الله التي ينازع في إثباتها أهل البدع من العلم والسمع والبصر والكلام واليد والوجه والنزول ... وغير ذلك، وسيأتي ذكر أقواله في هذا .

٤ـ ذمّه للذين نفوا صفات الباري وأسمائه أو أوّلوها أو مثلوها .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «لم يختلف قول الأشعري وأئمة أصحابه في إثبات الصفات الخبرية ، وفي الرد على من يتأولها ، كمن

---

(١) مقالات الإسلاميين :٢٩٠ .
(٢) الإبانة: ٨ .

يقول: استوى بمعنى استولى ، وهذا مذكور في كتبه كلها: كـ (الموجز الكبير) و (المقالات الصغيرة والكبيرة) و (الإبانة) وغير ذلك ، وهكذا نقل سائر الناس عنه ، حتى المتأخرين ، كالرازي والآمدي ينقلون عنه إثبات الصفات الخبرية ، ولا يحكون عنه في ذلك قولين»[١].

الثانية: ترك التكييف والتمثيل والتشبيه .

وقد صرح بهذا في مواضع كثيرة ، فقد صرح بأن « الله له يدان بلا كيف ، وأن له عينين بلا كيف ، وله وجه بلا كيف »[٢].

إثبات الصفات لا يقتضي التشبيه والتجسيم :

يزعم كثير من الذين انحرف بهم المسار في أسماء الله وصفاته أن إثباتها يقتضي التشبيه والتمثيل ، وهذا زعم باطل ، وفقه غير صحيح .

وقد أوضح الشيخ أبو الحسن الأشعري رحمه الله

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام:٢/٢٠٣ .
(٢) مقالات الإسلاميين :٢٩١ ، والإبانة:٩ .

تعالى هذه المسألة فقال: « وصف الله (بما وصف به نفسه) لا يوجب شبهة لمن وصف من خلقه بذلك ، من قبل أن الشيئين لا يشبهان بغيرهما ، ولا باتفاق أسمائهما ، وإنما يشبهان بأنفسهما .

فلما كانت نفس البارئ تعالى غير مشبهة بشيء من العالم ، بما ذكرناه آنفاً ، لم يكن وصفه بأنه حي وقادر وعالم يوجب تشبيهه بما وصفناه بذلك منّا ، وإنما يوجب اتفاقهما في ذلك اتفاق حقيقة إلى القادر والعالم ، وليس اتفاقهما في حقيقة ذلك يوجب تشبيها بينهما ، ألا ترى أن وصف البارئ ـ عزَّ وجلَّ ـ بأنه موجود ، ووصف الإنسان بذلك لا يوجد تشابهاً بينهما ، وإن اتفقا في حقيقة الوجود ، ولو وجب تشابههما بذلك لوجب تشابه السواد والبياض بكونهما موجودين .

فلما لم يجب بذلك بينهما تشابهاً ، وإن كانا قد اتفقا في حقيقة الوجود »[1].

---

(١) رسالة أهل الثغر :٦٣ ـ ٦٤ .

ثالثاً: عدم التأويل وإجراء الصفات على ظاهرها

لم يرتض أبو الحسن الأشعري منهج الذين أولوا صفات الباري تبارك وتعالى ، فقد صرح في أكثر من موضع من كتبه بذم الذين أولوا شيئا من صفات الله تبارك وتعالى ، وقد نصَّ على بطلان قول المعتزلة الذين أولوا النظر في قوله تعالى: ﴿ إلى ربها ناظرة﴾[1]، بنظر الانتظار ، وقرر أنه نظر الأنظار بالأبصار، كما صرحت بذلك الأحاديث ، وأبطل قول من أول النظر إلى الله بالنظر إلى ثوابه[2].

وأنكر قول المعتزلة والجهمية والحرورية الذين أولوا استواء الله على عرشه بالاستيلاء والملك والقهر [3] .

وقرر أن الله مستو على العرش استواءً يليق بجلاله على ما قرره علماء أهل السنة .

ورفض الإمام مذهب الذين أولوا اليد بالنعمة ، وأبان عوار هذا التأويل وفساده [4].

---

(١) سورة القيامة: ٢٣ .
(٢) الإبانة: ١٤ .
(٣) الإبانة: ٢٦ .
(٤) الإبانة: ٤١ .

قال الذهبي: « رأيت لأبي الحسن أربعة تواليف في الأصول يذكر فيها قواعد مذهب السلف في الصفات، وقال فيها: تمر كما جاءت ، ثمَّ قال: وبذلك أقول، وبه أدين، ولا تؤول »[1] .

وقال ابن تيمية: « من قال إن الأشعري كان ينفي الصفات الخبرية وأن له في تأويلها قولين فقد افترى عليه ، ولكن هذا فعل طائفة من متأخري أصحابه ، كأبي المعالي ونحوه ، فإن هؤلاء أدخلوا في مذهبه أشياء من أصول المعتزلة »[2].

---

(١) سير أعلام النبلاء :١٥/٨٦ .
(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام:١٢/٢٠٣ .

التأويل طريق التعطيل

وقد تنبه الإمام أبو الحسن رحمه الله إلى مراد المؤولين وأن مرادهم هو « تعطيل التوحيد والتكذيب بأسماء الله عزَّ وجلَّ ، فأعطوا ذلك لفظاً ، ولم يحصلوا قولاً في المعنى ، ولولا أنهم خافوا السيف ، لأفصحوا بأن الله غير سميع ولا بصير ولا عالم ، ولكن خوف السيف منعهم من إظهار زندقتهم »[1] .

ويقصد الإمام بهؤلاء المدخولين في مقاصدهم ونياتهم الجهمية ، الذين أرادوا إفساد دين المسلمين بتعطيل الرب عن صفاته ، وبذلك يقطعون ما أمر الله به أن يوصل ، إذ علم العبد بصفات الرب تعرف العبد بربه وتصله به ، وتوقفه في منازل العبودية الحقه.

---

(١) الإبانة: ٤٠ .

مفصل

الاعتقاد عند أبي الحسن الأشعري

١ـ إثبات أبي الحسن صفة الاستواء وعلو الله على عرشه

أثبت الإمام أبو الحسن الأشعري رحمه الله تعالى صفة الاستواء لله رب العالمين محتجاً على ذلك بالنصوص المصرحة باستواء الله على عرشه كقوله تعالى: ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ [١]، وقرر أن إثبات الاستواء هو مذهب أصحاب الحديث وأهل السنة [٢] ، كما قرر أن هذا الفقه من الديانة التي يدين الله بها [٣] .

وعقد في (الإبانة) [٤] فصلاً قرر فيه أن الله مستو على عرشه ، واستدل على ذلك بالنصوص الدالة على علو الله تبارك وتعالى ، مما يدل على أن

---

(١) سورة طه : ٥ .

(٢) مقالات الإسلاميين : ٢٩٠ ، وانظر رسالة أهل الثغر : ص٧١.

(٣) الإبانة: ٨ .

(٤) الإبانة: ٣٦ .

استواء الرب يفيد علوه ، وأورد كثيراً من النصوص الدالة على العلو ، كقوله تعالى: ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب ﴾[1] وقوله: ﴿ أأمنتم من في السماء ﴾[2] .

وصرح في هذا الفصل بأن السموات فوق الأرض، وأن العرش فوق السموات ، وأنه أعلاها ، وأوضح أن معنى السماء العلو ، فالمراد بكونه تبارك وتعالى في السماء أي العلو، وليس المراد أنه محصور في جرم السماء ، تعالى الله عما يقوله الظالمون علوا كبيراً.

وصرح ببطلان قول المعتزلة والجهمية والحرورية الذين أولوا الاستواء بالاستيلاء والقهر والملك ، وأبان فساد قولهم ومعتقدهم، وأبان فساد قول المعتزلة والحرورية والجهمية بأن الله عزَّ وجلَّ في كل مكان وبين ما يلزم هذا القول من اللوازم التي تدل على فساد هذا القول ونكارته .

وقد أطال في إيراد الأدلة من الكتاب والسنة

(١) سورة فاطر : ١٠ .
(٢) سورة الملك:١٦.

والمعقول التي تدل على أن الله مستو على عرشه بائن من خلقه ، راداً على أهل الضلال الذين كذبوا بالنصوص أو أولوها على غير مراد الله تبارك وتعالى تأويلاً هو التحريف بعينه [1] .

(١) انظر الباب الذي عقده في الإبانة :ص:٣٦ ـ ٤٠ .

٢- إثباته الوجه لله تبارك وتعالى

أثبت الإمام أبو الحسن الأشعري رحمه الله تعالى في « مقالاته »[(١)] الوجه لله رب العالمين محتجاً بقوله تبارك وتعالى : ﴿ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾[(٢)] .

وفي (الإبانة) ذكر مثل مقاله في (مقالاته) عندما أجمل معتقده الذي يدين لله به[(٣)] ، وفصل القول فيه في موضع آخر ، وقال فيما قال بعد إيراده النصوص: « فأخبر - عزَّ وجلَّ - أن له وجهاً وعيناً لا بكيف ولا حد »[(٤)].

وقرر في ما قرره رحمه الله تعالى أن الذين نفوا وجه الله هم الجهمية ، ونص قوله في ذلك: « ونفت الجهمية أن يكون لله وجه كما قال »[(٥)] .

---

(١) مقالات الإسلاميين : ص٢٩٠ .
(٢) سورة الرحمن : ٢٧ .
(٣) الإبانة: ٩
(٤) الإبانة: ٤٠ .
(٥) الإبانة: ٤٠ .

وقال في موضع آخر [1] « من سألنا فقال: أتقولون إن لله وجهاً ؟ قيل له: نقول ذلك خلافاً لما قال المبتدعون ، وقد دلّ على ذلك قوله: ﴿ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾ » [2].

---

(١) الإبانة: ٤١ .

(٢) سورة الرحمن : ٢٧ .

٣ـ إثبات العينين والسمع والبصر والرؤية لله رب العالمين

صرح أبو الحسن الأشعري ـ رحمه الله تعالى ـ بأن مذهب أهل الحديث الذي ارتضاه وسار عليه يثبت أن لله عينين بلا كيف [١]، كما قال ﴿ تجري بأعيننا ﴾ [٢] ونجد هذه العبارة بنصها في (الإبانة) [٣].

وقال في (الإبانة) أيضاً بعد إيراده النصوص الدالة على أن لله عيناً: « فأخبر ـ عزَّ وجلَّ ـ أن له وجها وعيناً لا بكيف ولا حد » [٤].

وأورد قوله تعالى: ﴿ وكان الله سميعاً بصيراً ﴾ [٥]، وقوله: ﴿ إنني معكما أسمع وأرى ﴾ [٦]، ثم قال: « فأخبر عن سمعه وبصره ورؤيته » [٧]، وأفاد رحمه

---

(١) مقالات الإسلاميين: ٢٩٠ .
(٢) سورة القمر: ١١٤ .
(٣) الإبانة: ٩ .
(٤) الإبانة: ٤٠ .
(٥) سورة النساء: ١٣٤ .
(٦) سورة طه: ٤٦ .
(٧) الإبانة: ٤٠ .

الله تعالى: « أن الجهمية أبطلوا أن يكون لله سمع وبصر وعين »[1] .

كما أفاد أن الجهمية بمقالتهم هذه « وافقوا النصارى، لأن النصارى لم تثبت الله سميعاً بصيراً إلا على معنى أنه عالم »[2] فالجهمية يقولون مثل مقالة النصارى أن الله عالم ، ولا يقولون بأنه سميع بصير على غير معنى عالم .

---

(١) الإبانة: ٤٠ .
(٢) الإبانة: ٤٠ .

٤- إثبات اليدين لله رب العالمين

وأثبت الشيخ رحمه الله تعالى لله اليدين بلا كيف محتجاً بقوله تعالى: ﴿ خلقت بيدي ﴾[١] وقوله: ﴿بل يداه مبسوطتان ﴾[٢][٣] .

وقد احتج على إثبات اليدين لله بالنصوص من الكتاب والسنة وأورد جملة من الأحاديث المصرحة بإثبات اليد لله رب العالمين .

وناقش الذين أولوا اليد بالنعمة ، وبين عوار قولهم، وبين أنه لا يجوز أن تفسر العرب اليد بالنعمة في مثل قوله تعالى: ﴿ لما خلقت بيدي ﴾ [٤] ، وإذا كان هذا غير جائز لغة ، كان هذا المؤول قائلاً في القرآن بغير علم ، وحامل له على غير محمله .

وقد أسهب في إيراد الأدلة ومناقشة المؤولين لليد بالنعمة والقدرة ، وأثبت بكلام لا يحتمل التأويل أن

---

(١) سورة ص: ٧٥ .
(٢) سورة المائدة: ٦٤ .
(٣) مقالات الإسلاميين : ٢٩٠ ، الإبانة: ٩ .
(٤) سورة ص: ٧٥ .

المراد باليد حقيقة اليد من غير تأويل ولا تحريف[1].

٥ـ إثباته صفة الكلام لله
وأن القرآن كلام الله غير مخلوق

قرر في « مقالاته » أن أهل الحديث يذهبون إلى أن « القرآن كلام الله غير مخلوق، والكلام في الوقف واللفظ . من قال باللفظ أو الوقف فهو مبتدع عندهم، لا يقال: اللفظ بالقرآن مخلوق ، ولا يقال غير مخلوق » [2] .

وقد عقد في (الإبانة) باباً للتدليل على أن القرآن كلام الله غير مخلوق هو أطول مباحث كتابه [3] ، وأورد النصوص من الكتابة والسنة الدالة على صحة معتقد الذين ذهبوا هذا المذهب ، وأورد النصوص الدالة على إثبات صفة الكلام لله رب العالمين .

وأطال في إيراد شبهة النافين لهذه الصفة والزاعمين

---

(١) راجع الإبانة : ص:٤٣ـ ٤٥ ، وانظر رسالة أهل الثغر : ٦٩ .
(٢) مقالات الإسلاميين : ٢٩٢ .
(٣) الإبانة: ٢١ـ٣٦ .

أن القرآن مخلوق من الجهمية والمعتزلة ، وأبان عوار قولهم ، وبين تناقضهم، وبين اللوازم التي تلزم من وراء مقالتهم ، وهي لوازم توضح مدى الضلال الذي وقع فيه هؤلاء ، وقد أورد جملة من مقالات أهل السنة وأصحاب الحديث التي تقرر الحق في هذه المسألة، وتسفه قول المخالفين.

وما أطال الشيخ في هذه المسألة إلا لآثارها الضخمة على الفكر الإسلامي والأمة الإسلامية، وقد أثارت مقالة الضالين في هذه المسألة باب شرّ مستطير أدى إلى فتنة عمياء ، استبيحت بسببها أعراض المسلمين ودماؤهم ، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

٦ـ إثباته علم الله وقدرته وقوته

وقد عقد الشيخ باباً للرد على الجهمية في نفيهم علم الله وقدرته وجميع صفاته ، وأورد النصوص المثبتة للعلم من كتاب الله كقوله: ﴿أنزله بعلمه ﴾[١]، وقوله: ﴿ وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه﴾[٢] كما أورد النصوص الدالة على إثبات القوة كقوله: ﴿أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشدّ منهم قوة﴾[٣]، وقوله: ﴿ذو القوة المتين ﴾[٤].

وقد أبان أن مذهب الجهمية في هذا نفي علم الله وقدرته وحياته وسمعه وبصره ، وأن مقالتهم هذه أخذوها من أهل الزندقة والتعطيل، وزعم المعتزلة أن الله عالم قادر حي سميع بصير من غير أن يثبتوا له حقيقة العلم والقدرة والسمع ، وجعل بعض رؤساؤهم علم الله هو الله ، وبين تناقضهم فيما ذهبوا إليه ، ومخالفتهم لإجماع المسلمين .

---

(١) سورة النساء :١٦٦ .
(٢) سورة فاطر:١١.
(٣) سورة فصلت:١٥ .
(٤) سورة الذاريات: ٥٨ .

٧ـ إثباته أصابع الرحمن

يقول رحمه الله تعالى مبيناً معتقده ، ودينه الذي يدين الله به فيها: « وندين لله ـ عزَّ وجلَّ ـ بأنَّه يقلب القلوب بين أصبعين من أصابع الله عزَّ وجلَّ ، وأنه عزَّ وجل يضع السموات والأرض على أصبع ، كما جاءت الرواية عن رسول الله ﷺ »[1].

وهذا المعتقد هو الذي حكاه عن أصحاب الحديث وأهل السنة والجماعة .

(١) الإبانة: ص ١٠ .

٨ ـ إثباته نزول الرب
تبارك وتعالى في ثلث الليل الآخر

يقول في هذه المسألة: « ونصدق بجميع الروايات التي يثبتها أهل النقل من النزول إلى السماء الدنيا، وأن الربَّ ـ عزَّ وجلَّ ـ يقول: (هل من سائل، هل من مستغفر)»[١].

ويقرر في « مقالات الإسلاميين » أن هذا مذهب أصحاب الحديث وأهل السنة، فيذكر أنهم: «يصدقون بالأحاديث التي جاءت عن رسول الله ﷺ أن الله سبحانه ينزل إلى السماء الدنيا فيقول: (هل من مستغفر) كما جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ»[٢].

---

(١) الإبانة: ١١.
(٢) مقالات الإسلاميين : ٢٩٥ ، وانظر رسالة أهل الثغر :ص: ٧٠.

٩- إثباته مجيء الرب في يوم القيامة

يقول مبيناً معتقده في هذه المسألة: «ونقول: إن الله - عزّ وجلّ - يجيء في يوم القيامة كما قال: ﴿وجاء ربك والملك صفاً صفاً﴾[1]»[2]. وهذا الذي ذكره هو معتقد أهل السنة والجماعة فقد نقل عنهم مذهبهم فقال: «ويقر أصحاب الحديث وأهل الحديث أن الله يجيء يوم القيامة كما قال: ﴿وجاء ربك والملك صفاً صفاً﴾[3]»[4].

(١) سورة الفجر: ٢٢.
(٢) الإبانة: ص١٢.
(٣) سورة الفجر: ٢٢.
(٤) مقالات الإسلاميين: ٢٩٢.

١٠ـ إثباته رؤية الله بالأبصار في الآخرة

وفي ذلك يقول في « مقالات الإسلاميين » مجملاً مقالة أصحاب الحديث وأهل السنة الذين ارتضى مذهبهم: « ويقولون أن الله يرى بالأبصار يوم القيامة، كما يرى القمر ليلة البدر ، يراه المؤمنون ، ولا يراه الكافرون ، لأنهم عن الله محجوبون ، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾[(١)(٢)] .

وأن موسى عليه السلام سأل الله سبحانه الرؤية في الدنيا ، وأن الله سبحانه ـ تجلى للجبل فجلعه دكا ، فأعلمه بذلك أنه لا يراه في الدنيا ، بل في الآخرة»[(٣)] .

وعقد في (الإبانة) فصلاً ـ للكلام في إثبات رؤية الله تعالى بالأبصار في الآخرة ، وأورد النصوص القرآنية الدالة على رؤية الله في الآخرة ، والأحاديث

---

(١) سورة المطففين: ١٥ .
(٢) مقالات الإسلاميين : ٤٣٠ .
(٣) مقالات الإسلاميين : ٢٩٢ .

المصرحة بها ، وبين وجه الاستدلال بما أورده ، وفند مزاعم من نفاها وحرف معناها .

واحتج على المعتزلة وأضرابهم بالإجماع ، فقد أجمع الصحابة على أن المؤمنين يرون ربهم في يوم القيامة [1] .

ثم عقد باباً آخر في (الإبانة) لمناقشة شبه المعتزلة الذين زعموا أن الله لا يرى بالأبصار وفندها وكشف زيفها [2] .

---

(١) انظر الإبانة: ص:١٢ـ١٩ .
(٢) الإبانة:١٩ـ ٢١ .

١١- إيمانه بخروج الدجال وإثباته عذاب القبر والسؤال فيه والمعراج

والأشعري يؤمن بخروج الدجال ، وعذاب القبر،ومنكر ونكير ، والسؤال في القبر ، والمعراج ، ويصدق بما جاءت به الأحاديث، ولا يرد خبر رسول الله ﷺ كما فعله كثير من الذين انحرف بهم المسار في هذا وأمثاله ، رادين الأحاديث تارة ومؤولين لها تارة أخرى ، يقول رحمه الله تعالى: « ونقر بخروج الدجال كما جاءت به الرواية عن رسول الله ﷺ ، ونؤمن بعذاب القبر ، ومنكر ونكير ، ومساءلتهما المدفونين بقبورهم، ونصدق بحديث المعراج» [(١)].

وإذا أنت قارنت قوله هذا بعقيدة أهل السنة وجدت أن المذهب هو المذهب ، والطريق هو الطريق ، فإنه حكى عن أهل السنة أنهم يقرون بعذاب القبر [(٢)] ،

---

(١) الإبانة: ١٢.

(٢) مقالات الإسلاميين : ٢٩٢.

وأنهم « يؤمنون بمنكر ونكير ، والمعراج »[1].

وقال أيضاً: « واختلفوا في عذاب القبر ، فمنهم من نفاه ، وهم المعتزلة والخوارج ، ومنهم من أثبته وهم أكثر أهل الإسلام »[2].

وقال أيضاً: « قال أهل السنة والاستقامة أن للنبي ﷺ حوضاً يسقي منه المؤمنين ، ولا يسقي منه الكافرين ، وأنكر قوم الحوض ودفعوه ، واختلفوا في منكر ونكير ، هل يأتِيَان الإنسان في قبره ، فأنكر ذلك كثير من أهل الأهواء ، وثبته أهل الاستقامة»[3].

---

(١) مقالات الإسلاميين : ٢٩٦ .
(٢) مقالات الإسلاميين : ٢٩٦ .
(٣) مقالات الإسلاميين : ٤٧٣ ، وانظر رسالة أهل الثغر : ص٨٨.

١٢ـ الجنة والنار مخلوقتان

الديانة التي يدين الله بها أن الجنة والنار مخلوقتان[١] ، وحكى هذا المذهب عن أهل السنة [٢]، وعبارته في الإبانة والمقالات واحدة .

وقال في موضع آخر في (مقالاته): «أجمع أهل الإسلام جميعاً إلا الجهم أن نعيم أهل الجنّة دائم لا انقطاع له ، وكذلك عذاب الكفار في النار » [٣] .

---

(١) الإبانة: ١٢ .
(٢) مقالات الإسلاميين : ٢٩٦ .
(٣) مقالات الإسلاميين: ص:٤٧٤.

١٣ـ إثباته للشفاعة

ينقل أبو الحسن رحمه الله تعالى أن المسلمين أجمعوا على إثبات الشفاعة لرسول الله ﷺ ، وأنها للمذنبين المرتكبين للكبائر[١]، وينقل عن أهل السنة والجماعة أن مذهبهم في هذه المسألة الإقرار بشفاعة رسول الله ﷺ ، وأنها لأهل الكبائر من أمته[٢] .

وقد أورد شبهة الذين نفوا الشفاعة ، ورد عليهم[٣] .

---

(١) الإبانة: ٧٤ .
(٢) مقالات الإسلاميين : ٢٩٣ .
(٣) الإبانة: ٧٤ .

١٤ـ عقيدته في القدر

يقول رحمه الله متحدثاً عن عقيدته في القدر: «ونؤمن بقضاء الله وقدره ، خيره وشره ، حلوه ومرّه، ونعلم أنَّ ما أخطأنا لم يكن ليصيبنا ، وأن ما أصابنا لم يكن ليخطئنا، وأن العباد لا يملكون لأنفسهم ضرّ ولا نفعاً »[1] .

(١) الإبانة: ١٠ .

١٥ـ حد الإيمان والإسلام عنده

يذهب أبو الحسن رحمه الله تعالى إلى «أن الإسلام أوسع من الإيمان ، وليس كل إسلام إيماناً »[(١)] .

وينقل عن أهل السنة أنَّ « الإيمان عندهم هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشرّه وحلوه ومرّه ، وأن ما أخطأهم لم يكن ليصيبهم ، وما أصابهم لم يكن ليخطئهم.

والإسلام عندهم: هو أن يشهد أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمداً رسول الله ، على ما جاء في الحديث، والإسلام عندهم غير الإيمان »[(٢)] .

---

(١) الإبانة : ١٠ .

(٢) مقالات الإسلاميين : ٢٩٣ .

١٦ـ عدم الحكم لأحد
من أهل التوحيد بجنّة ولا نار

يقول في هذه المسألة: « وندين بأن لا ننزل أحداً من أهل التوحيد والمتمسكين بالإيمان جنّة ولا ناراً إلا من شهد له رسول الله ﷺ وسلم بالجنّة ، ونرجوا الجنة للمذنبين ، ونخاف عليهم أن يكونوا بالنار معذبين ، ونقول: إن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ يخرج قوماً من النار بعد أن امتُحِشوا بشفاعة رسول الله ﷺ تصديقاً لما جاءت به الروايات عن رسول الله ﷺ»(١).

ونقل مذهب أهل السنة والجماعة في هذه المسألة فقال: « ولا يشهدون على أحد من أهل الكبائر بالنار، ولا يحكمون بالجنَّة لأحد من الموحدين ، حتى يكون الله ـ سبحانه ـ ينزلهم حيث شاء ، ويقولون: أمرهم إلى الله إن شاء غفر لهم ، ويؤمنون بأن الله سبحانه يخرج قوماً من الموحدين من النار على ما جاءت به الروايات عن رسول الله ﷺ »(٢).

---

(١) الإبانة: ١١.
(٢) مقالات الإسلاميين: ٢٩٣ .

١٧ـ عدم تكفيره أحداً من أهل القبلة

لا يكفر أبو الحسن الأشعري أحداً من أهل القبلة بذنب يرتكبه كالزنا ، والسرقة وشرب الخمر ، وهو في ذلك يخالف الخوارج ، وإنما يحكم بكفر مرتكب الكبيرة إذا عملها مستحلا لها ، غير معتقد لتحريمها ، وهذا الذي صرح به في الإبانة [(١)] هو مذهب أصحاب الحديث وأهل السنة فيما نقله عنهم أبو الحسن الأشعري ، فإنه قال في مقالات الإسلاميين: « ولا يكفر أصحاب الحديث وأهل السنة أحداً من أهل القبلة بذنب يرتكبه كنحو الزنا والسرقة ، وما أشبه ذلك من الكبائر ، وهم بما معهم من الإيمان مؤمنون ، وإن ارتكبوا الكبائر » [(٢)] .

وقال الذهبي: « رأيت للأشعري كلمة أعجبتني ، وهي ثابتة رواها البيهقي ، سمعت أبا حازم العبْدَريَ، سمعت زاهر بن أحمد السرخسي يقول: لما قرُب

---

(١) الإبانة: ١٠ .
(٢) مقالات الإسلاميين :٢٩٣ .

حضـور أجل أبي الحسن الأشعري في داري ببـغداد ، دعاني ، فأتيته ، فقال: اشهد علي أني لا أكفر أحداً من أهل القبلة ، لأنَّ الكل يشيرون إلى معبود واحد، وإنما هذا كله اختلاف العبارات » .

ثم قــال الذهبي: « ونحـــو هذا أدين، وكــذا كـان شيـخنا ابن تيمية فـي أواخر أيامه يقول: «أنا لا أكـفر أحــد : من الأمّة ، ويقــول: قــال النبي ﷺ: (لا يحـافظ على الوضـوء إلا مـؤمن) فـمن لازم الصلوات بوضوء فهو مسلم »[1].

(١) سير أعلام النبلاء :١٥/٦٨ .

١٨ـ موقفه من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول رحمه الله مبيناً موقفه منهم في (إبانته):

«وندين بحب السلف الذين اختارهم الله لصحبة نبيه عليه السلام ، ونثني عليهم بما أثنى الله به عليهم ، ونتولاهم أجمعين ، ونقول: إن الإمام الفاضل بعد رسول الله هو أبو بكر الصديق ، رضوان الله عليه ، وإن الله أعزّ به الدين ، وأظهره على المرتدين ، وقدمه المسلمون بالإمامة ، كما قدمه رسول الله ﷺ للصلاة ، وسموه بأجمعهم خليفة رسول الله ﷺ .

ثم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ثم عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وأن الذين قاتلوه قاتلوه ظلماً وعدواناً ، ثم علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

فهؤلاء الأئمة بعد رسول الله ﷺ ، وخلافتهم خلافة النبوة .

ونشهد بالجنّة للعشرة الذين شهد لهم رسول الله

ﷺ ، ونتولى سائر أصحاب النبي ﷺ ، ونكفُّ عما شجر بينهم .

وندين لله بأن الأئمة الأربعة راشدون مهديون فضلاء ، لا يوازيهم في الفضل غيرهم» [(١)] .

وقد لخص في (مقالات الإسلاميين) موقفه هذا ناسباً إياه إلى أهل السنة ، فقال مقرراً مذهبهم في موقفهم من الصحابة «ويعرفون حق السلف الذين اختارهم الله سبحانه لصحبة رسوله ﷺ ، ويأخذون بفضائلهم ، ويمسكون عما شجر بينهم صغيرهم وكبيرهم ، ويقدمون أبا بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ثم علياً ، رضوان الله عليهم ، ويقرون أنهم الخلفاء الراشدون المهديون أفضل الناس كلهم بعد النبي ﷺ» [(٢)] .

---

(١) الإبانة : ١١ .

(٢) مقالات الإسلاميين : ٢٩٤ .

١٩ـ صلاة الصلوات
والجماعات خلف كل برٍ وفاجر

يقول رحمه الله تعالى: « ومن ديانتنا أن نصلي الجمعة والأعياد خلف كل برّ وغيره ، كما روي (أن) عبدالله بن عمر كان يصلي خلف الحجاج »[١] . وقد خالف في هذا بعض المبتدعة .

ونص على هذا القول في (المقالات) ناسباً إياه لأهل السنة الذين ارتضى مذهبهم فقال: « ويرون العيد والجمعة والجماعة خلف كل إمام برٍّ وفاجر »[٢].

---

(١) الإبانة: ١٢ .

(٢) مقالات الإسلاميين : ٢٩٥ .

٢٠- المسح على الخفين

ومن ديانته « أن المسح على الخفين سنة في الحضر والسفر خلافاً لقول من أنكر ذلك»[(١)].

وعزا هذا القول إلى أهل السنة فيما حكاه من مذهبهم مقرّاً به ذاهباً إليه مادحا له فقال: « ويثبتون المسح على الخفين سنّة ويرونه في الحضر والسفر »[(٢)].

---

(١) الإبانة: ١٣ .
(٢) مقالات الإسلاميين : ٢٩٥ .

٢١ـ عدم الخروج على
أئمة المسلمين والدعاء لهم بالصلاح

يقول في ديانته التي يدين الله بها في هذه المسألة:

« ونرى الدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح ، والإقرار بإمامتهم ، وتضليل من رأى الخروج عليهم إذا ظهر منهم ترك الاستقامة ، وندين بإنكار الخروج بالسيف ، وترك القتال في الفتنة »[1] .

وتكاد تكون عبارته في (المقالات) هي عبارته هنا مما يدل على صدور الكتابين من مشكاة واحدة ، فإنه قال حاكياً مذهب أهل السنة الذي ارتضاه له مذهباً وطريقاً: « ويرون الدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح ، ولا يخرجوا عليهم بالسيف ، وأن لا يقاتلوا في الفتنة»[2] .

---

(١) الإبانة: ١٢ .

(٢) مقالات الإسلاميين : ٢١٥ .

٢٢ـ موقفه من الموتى
والدعاء لهم والصلاة عليهم

يرى أبو الحسن رحمه الله تعالى« الصدقة عن موتى المسلمين ، والدعاء لهم ، ويؤمن بأن الله ينفعهم بذلك ... ونَدين بالصلاة على من مات من أهل القبلة برهم وفاجرهم وتوارثهم »[١] .

ويقول في (مقالات الإسلاميين) حاكياً مذهب أهل السنة: « ويرون الصلاة على كل من مات من أهل القبلة برهم وفاجرهم وموارثتهم »[٢] .

« ويؤمنون أن الدعاء لموتى المسلمين والصدقة عنهم بعد موتهم تصل إليهم »[٣] .

---

(١) الإبانة: ١٢ .
(٢) مقالات الإسلاميين : ٢٩٦ .
(٣) مقالات الإسلاميين : ٢٩٦ .

٢٣ـ موقفه

من السحر ووسوسة الشيطان

يقول في هذا « ونصدق بأن في الدنيا سحرة وسحراً ، وأن السحر كائن موجود في الدنيا . . . وأن الشيطان يوسوس للإنسان ويسلكه ويتخبطه ، خلافاً لقول المعتزلة والجهمية »[١] .

وإذا قارنت بين مقالته التي يقول بها وبين مقالة أهل السنة التي حكاها عنهم تجد القولين متقاربين فإنه قال: « ويصدقون بأن في الدنيا سحرة ، وأن الساحر كافر كما قال الله ، وأن السحر كائن موجود في الدنيا . . . وأن الشيطان (يوسوس) للإنسان ويشككه ويخبطه»[٢] .

وإذا أنت تأملت في العبارتين تبين لك أن في عبارة الإبانة « اضطراباً فقد حرف بعض النساخ عبارة المصنف « يشككه » إلى: «يسلكه» ، فلو قارن محقق

---

(١) الإبانة: ١٢.
(٢) مقالات الإسلاميين :٢٩٦ .

الإبانة عبارة المصنف بما ورد في (مقالات الإسلاميين) لصحح عـبارته هناك بعبـارته في المقالات ، وهذا يدل على مـدى التـقارب بـين الكتابـين حتى في العـبـارات والألفاظ .

٢٤ـ موقفه من الكرامات

يرى أن الكرامة حق ، وعبارته في (الإبانة) و(المقالات) واحدة في لفظها ومعناها، إلا أنه في الإبانة حكاها عن نفسه ، وفي المقالات حكاها عن أهل السنة ، فإنه قال في (الإبانة): « وأن الصالحين يجوز أن يخصهم الله عزَّ وجلَّ بآيات يظهرها عليهم »[١] . ويقول في (المقالات): « وأن الصالحين قد يجوز أن يخصهم الله بآيات تظهر عليهم»[٢] فالخلاف اللفظي شكلي ليس له اعتبار .

---

(١) الإبانة: ١٢ .

(٢) مقالات الإسلاميين : ٢٩٦ .

٢٥- قوله في أطفال المشركين

يقول رحمه الله: « قولنا في أطفال المشركين إن الله يؤجج لهم في الدار الآخرة ناراً ، ثمَّ يقول لهم: اقتحموها ، كما جاءت بذلك الرواية » ويقول حاكياً مذهب أهل السنة والجماعة في هذه المسألة « ويقرون أن الأطفال أمرهم إلى الله إن شاء عذبهم ، وإن شاء فعل بهم ما أراد »[1]

---

(١) مقالات الإسلاميين :٢٩٦ .

الفهرس

مؤلفات جديدة

للدكتور عمر الأشقر

❃ المذاهب الفقهية .

❃ العرف بين الفقه والقانون .

❃ مسائل من فقه الكتاب والسنة .

❃ الحيض والحمل والنفاس بين الفقه والطب .

❃ الأعراف البشرية في ميزان الشريعة الاسلامية .

هذا الكتاب

فإن الداعي لكتابة هذه الرسالة أن أقواماً يزعمون أن لأبي الحسن الأشعري عقيدة مخالفة لما دونه أئمتنا الأعلام في عقيدة أهل السنة والجماعة ، عقيدة السلف الصالح ، زاعمين أن ذلك المعتقد الذي ساروا عليه هو عقيدة أهل السنة والجماعة ، وهو عقيدة أبي الحسن الأشعري ، وقد بلبلت هذه المقالة أذهان كثير من طلبة العلم ، فأصابتهم بحيرة، فإن المدون في عقائد السلف قديماً وحديثاً يخالف هذا الذي يحكي على أنه عقيدة للأشعري، ويزعم أنه معتقد أهل السنة.

مقدمة المؤلف